آل المهلّب العُمانيون
فى المشرق الإسلامى حتى سقوط الدولة الأموية

الأستاذ الدكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

جامعة السلطان قابوس سابقاً



مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة - الأزاريطة - الإسكندرية

تليفون وفاكس : ٤٨٤٦٥٠٨

آل المهلّب العُمانيون
في المشرق الإسلامي
حتي سقوط الدولة الأموية

آل المهلَّب العُمانيون

في المشرق الإسلامي

حتي سقوط الدولة الأموية

الأستاذ الدكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

جامعة السلطان قابوس (سابقا)

مركز الإسكندرية للكتاب

مقدمة الطبعة الثاني

أضع بين يدى القارىء الطبعة الثانية من كتاب « آل المهلب فى المشرق الإسلامى ، ودورهم السياسى والحربى حتى سقوط الدولة الأموية » وهى طبعة مزيدة ومنقحة ، تداركنا فيها بعض التصويبات والأضافات الضرورية ، كما زودناها بخريطة موضحا عليها المدن والمواقع المهمة التى جاء ذكرها فى البحث ، وخاصة المواقع الحربية التى خاضها آل المهلب فى المشرق الإسلامى دفاعا عن الإسلام ، أثناء مشاركتهم فى حركة الفتوحات الإسلامية وفى نضالهم المشرف ضد الخوارج الأزارقة الذين روعوا العالم الإسلامى بما عرف عنهم من عنف فى القتال ، فكان للمهالبة اليد الطولى فى التصدى لهم ، والقضاء على خطرهم .

كما ذيلنا هذه الطبعة بقائمة تحوى تعريفات ببعض المواقع التى جاء ذكرها فى الكتاب ، ولم نشأ وضعها فى هوامش المتن حرصا على تسلسل الأفكار ، وعدم شغل القارىء بها ، وقد رتبناها ترتيبا أبجديا ليرجع اليها من يرغب فى معرفة المزيد عنها .

هذا وأرجو من الله أن يشملنا بتوفيقه ورعايته ، ويلهمنا الخير والصواب

عبد المنعم سلطان

الإسكندرية فى يونيو ٢٠٠٢

مقدمة

يتناول هذا البحث تاريخ آل المهلب في المشرق الإسلامي ونشاطهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي . وقد حاولت من خلاله القاء الضوء على هذه الأسرة العريقة التي كان لها دورا مؤثرا في حركة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام ، كما تصدت لحركات المعارضة وكان لها مواقف مشرفة في الصراع ضد الخوارج الأزارقة الذين روعوا العالم الإسلامي في المشرق وأثاروا الذعر بين الخاصة والعامة .

وقد تعرضت هذه الأسرة الى تشهير متعمد من جانب عناصر من الشعوبيين وكتاب المثالب ، ونحن في هذا البحث لم نقف أمام هذه الحالة لننفي ما ذهب اليه بعض هؤلاء من الطعن في نسبهم العربي ، والاساءة اليهم ، فان نسبهم وانتماءهم الى قبائل الأزد قضية حسمتها معظم المصادر التاريخية ، ولا مجال للشك فيها . فنجد الحجاج بن يوسف الثقفي في احدى رسائله للمهلب يقول أنه اختاره لحرب الأزارقة وفضله على رجال من مضر « .. وهو رجل من أهل عمان .. من الأزد . . » وما كان الحجاج أو غيره من مؤرخي المسلمين يجهلون نسب المهلب ، وما قيل غير ذلك فهو ضرب من التعدي على الحقائق

التاريخية

وفي الفصل الأول حاولت ابراز دور أبي صفرة والد المهلب خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة ، فتاريخ أبي صفر طغى عليه شهرة ابنه المهلب ، ولم يحظ باهتمام المؤرخين ، فهو من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام بين قومه أزد عمان ، كما يأتي ذكره في المصادر من بين القواد الذين ساهموا في حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق في عهد الخليفتين عمر وعثمان وكان أبو صفرة يقود فرقة من قومه الأزد وكان يصحبه من أبنائه : النجف والمغيرة وحبيب

وجاء ذكر المهلب لأول مرة في حياة أبيه في حملة المسلمين على سجستان في أواخر خلافة عثمان (٣٥هـ) ، وبوفاة أبي صفرة حوالى سنة ٣٧ هـ تنتقل زعامة الأسرة الى ابنه المهلب ، لتردد المصادر نسب الأسرة كلها اليه فيطلق عليهم أحيانا « المهالبة » وأحيانا « آل المهلب »

وخلال الفترة السفيانية من تاريخ الدولة الأموية ، حقق المهلب شهرة واسعة كأحد الأبطال في مجال الحرب والجهاد في الجبهة المشرقية مما رفع من شأن المهالبة وجعل ولاة خراسان يحرصون على أن يصحبهم المهلب ورجاله الى خراسان ليكونوا سندا لهم في معاركهم هناك وفي أواخر هذه الفترة تظهر براعة المهلب السياسية وحسن تقديره للأمور عندما اشتعلت الصراعات بين القبائل في خراسان في أعقاب وفاة يزيد بن معاوية ، وكان والي خراسان (سلم بن زياد) قد انسحب

منها تاركا ادارتها للمهلب ، وقد أغضب هذا التصرف عناصر من المصرية ، وتنازعت القبائل للسيطرة على خراسان وتمزقت أقاليمها فيما بينهم ، وقد آثر المهلب فى هذا الجو المضطرب أن لايكون طرفا فى هذا الصراع ، فانسحب برجاله وآل بيته وأقام بالبصرة يرقب الأحداث .

وتناولت في الفصل الثاني :علاقة المهالبة بثورة عبد الله بن الزبير ، وهى فى رأينا علاقة طبيعية نتيجة لوقوع العراق وأقاليم المشرق وأهمها خراسان تحت نفوذ ابن الزبير ولما كان المهلب أحد القادة المشهود لهم بالكفاءة فى هذه المنطقة فقد سعى ابن الزبير حثيثا ليضم المهلب الى صفوفه واجتمع به طويلا وأغراه بولاية خراسان فى الوقت الذى كان فيه الأمويون مشغولون بقضية الوراثة ومن يخلف معاوية الثانى ، فاستجاب المهلب ، وفى طريقه لخراسان مر بالبصرة التى بها معظم قبيلته ورجاله ، وكانت البصرة تتعرض لخطر داهم من جانب الأزارقة ، فضحى المهلب بخراسان وتصدى لحرب الأزارقة منذ هذا التاريخ (٦٥ هـ) استجابة لرجاء أهل البصرة وبتكليف من عبد الله ابن الزبير وأوضحت كيف استمر المهالبة فى صراهم ضد الأزارقة حتى قتل مصعب ابن الزبير سنة ٧١هـ ، ويبدو أن المهلب كان يدرك أن مكانه هو الجهاد والحرب سواء كان منتميا الى ابن الزبير أو الأمويين ، فأعلن المهلب البيعة لعبد الملك بن مروان الذى شكره وأثنى عليه وأقره على ما تحت يده من ولايات وأسند اليه مهمة مواصلة الحرب ضد الأزارقة

أما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه علاقة المهلبة بالدولة الأموية منذ سنة ٧١هـ وحتى القضاء على الأزارقة سنة ٧٧هـ ونلاحظ فى هذه المرحلة أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصر استبد بها التعصب القبلى وساءها أن يسيطر الأزد على مجريات الحرب ضد الأزارقة ، ويحوزوا شرف النصر تلو النصر فى الوقت الذى فشل فيه غيرهم من المضرية فى أن يحلوا محلهم ، وكانت الخلافة الأموية تدرك أنه لايستطيع التصدى للأزارقة الا المهالبة ، ورغم ذلك فقد تعرض المهلب للعديد من المضايقات وخاصة من جانب والى العراق الحجاج ابن يوسف الثقفى الذى كان يتهمه بإطالة الحرب طمعا فى الخراج الذى يجبيه من الأراضى الخاضعة له .

ورغم الأستفزاز ظل المهلب يدارى الحجاج ، حتى تمكن فى النهاية من تحقيق النصر على الأزارقة ، وكانت ولاية خراسان هى الجائزة التى حصل عليها المهلب لجهوده فى القضاء على خطر الأزارقة.

أما الفصل الرابع : فقد تناولت فيه فترة ولاية المهلب على خراسان حتى وفاته سنة ٨٢هـ وأبرزت عدة نقاط مهمة منها أن الحجاج كان يضمر الحقد على المهلب وأغرمه مبلغا كبيرا من المال ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل الهلب يجاهد فى سبيل نشر الإسلام ،فخيل له بسمر قند وأخرى ببخارى وأخرى بطخارستان ، كما نجح المهلب فى حفظ التوازن فى علاقته بالحجاج وبالخليفة الأموى فى

دمشق فلم يكن في طبعه الغدر ونكث العهود ويظهر هذا في موقفه من ثورة ابن الأشعث سنة (٨١هـ) ، كما يظهر بوضوح في وصيته لأبنائه قبيل وفاته .

أما الفصل الخامس : فقد تناولت فيه تاريخ المهالبة منذ تولى قيادة الأسرة يزيد بن المهلب وحتى وفاة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) وأوضحت أن المهالبة في هذه الفترة قد نالوا حظا وافرا من القوة والنفوذ وخاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى أن بعض الرواة ذكروا أن يزيد بن المهلب كان يجلس مكان الخليفة الأموى في غيابه ، ولكن هذا الوضع أثار الأحقاد والغيرة ، وكانت أخطر هذه الأحقاد ما جاء من جانب أمراء البيت الأموى فقد شعر بعضهم بالضآلة أمام نفوذ يزيد وسطوته ،مما عجل بنكبة المهالبة.

أما الفصل السادس : فقد أوضحت فيه ثورة آل المهلب ضد الدولة الأموية وحللت الأسباب التى أثارت البيت الأموى ضد يزيد ، وظروف الحرب الضارية التى خاضها يزيد ضد الأمويين ، ورغم كثرة أنصاره إلا أن يزيد بن المهلب كان يرفع السيف هذه المرة في وجه الدولة صاحبة الحق الشرعى في الحكم مما أدى إلى هزيمته في موقعة العقر (١٠٢هـ)وقد أبرزت عوامل هزيمة يزيد في هذه الموقعة . ومطاردة الأمويين لآل المهلب في كل مكان للقضاء على نفوذهم .

وقد وضحت في الخاتمة أنه رغم مطاردة الأمويين لآل المهلب فان من بقى منهم ظل على عدائه للدولة الأموية طلبا للثأر ، فقد ثار

سليمان بن حبيب بن المهلب سنة ١٢٩هـ ضد الأمويين فى الأهواز كما خرج سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على الأمويين فى البصرة معقل المهالبة سنة ١٣٢هـ تأييدًا للدعوة العباسية .

هذا وفى النهاية أرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت اليه من هذا البحث . ونسأل الله التوفيق فى الفكر والقول والعمل ، انه نعم المولى ونعم النصير.

د . عبد المنعم سلطان

الفصل الأول

أسرة المهالبة منذ أعتنق أبو صفرة الإسلام وحتي وفاة يزيد بن معاوية (٦٤هـ)

الفصل الأول

أسرة المهالبة منذ أعتنق أبو صفرة الإسلام وحتي وفاة يزيد بن معاوية (٦٤هـ)

نتسب أسرة المهالبة الى المهلب بن أبى صفرة ، واسم أبى صفر ة « ظالم بن سراق »[١] الذى يرجع نسبه الى قبائل الأزد اليمنية[٢]. التى هاجرت الى عمان وكانت احدى الهجرات اليمنية التى تفرقت فى شبه الجزيرة العربية فى أعقاب انهيارات سد مأرب ولأسباب أخرى ذكرها الرواة والنسابون ، وكانت الأزد عند تفرقها أضيفت كل طائفة الى شىء يميزها عن غيرها ، فقيل أزد دبا وأزد شنوءة وأزد عمان . ومرجع الكل الى الأزد المذكورة[٣]. ويروى النسابون العمانيون أن أبا صفر ة من أهل مدينة (أدم) من داخلية عمان ، وأن آل بوسعيد فى عمان ينتسبون الى أبى سعيد المهلب بن أبى صفرة[٤].

ويروى ابن حجر فى الأصابة مايوحى بان أبا صفرة كان صحابيا

---

(١) راجع : ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٣٩ (القاهرة ١٩٦٩) ، أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، ج٢ ، ص ٧٥ (القاهرة ١٩٧٢) ويروى ابن حزم أن اسمه : سالم بن سراق أنظر : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٧ (القاهرة ١٩٨٢)

(٢) الأغانى ، ٢ ، ص ٧٦ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج ٤ ، ص ١٠٨ (بيروت ١٣٢٨ هـ) .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٣٥٨

(٤) راجع سيف بن حمود البطاشى ، تاريخ المهلب القائد ، ص ١٣ ، ص ٢٢ .

والتقى بالرسول ﷺ وبايعه على الإسلام ، وأن رسول الله هو الذى أطلق عليه هذه التسمية « أبو صفرة » فيقول : « أن أبا صفرة قدم على رسول الله ﷺ على أن يبايعه وعليه حلة صفراء .. فلما رآه .. قال له من أنت . قال : أنا قاطع بن سارق بن ظالم .. فقال له النبى : أنت أبو صفرة . دع عنك سارقا وظالما .. فأعلن أبو صفرة اسلامه موقال ان لى ثمانية عشر ذكرا ورزقت بنتا سميتها صفرة ، فقال النبى وأنت أبو صفرة »[٥].

ويعترف ابن حجر بأن هذه الرواية فيها اختلاف وأن بعض الروايات تنكر صحابة أبى صفرة ولقائه بالنبى . وفى رواية صاحب «الاستيعاب » أن أبا صفرة كان مسلما على عهد الرسول ﷺ ولم يفد عليه ، ووفد على عمر بن الخطاب[٦].

والروايتان السابقتان تحتاجان الى وقفة لترتيب ما جاء فيهما طبقا لما ورد فى المصادر العمانية التى تحت أيدينا . فاحتمالات لقاء أبى صفرة بالرسول ﷺ فى المدينة ليعلن اسلامه بين يديه ممكنة . اذ تروى المصادر العمانية أن الإسلام قد عرف طريقه الى عمان فى وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية فى الحجاز ، وأن أول من أعتنق الإسلام فى عمان هو مازن بن غضوبة من أهل سمائل الذى سافر الى المدنية والتقى

---

(٥) ابن حجر ، ج ٤ ، ص ١٠٨ - وهناك رواية أخرى فى الأغانى بأن تسميته بأبى صفرة لأنه كان يصفر لحيته . أنظر : الأغانى : ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٦) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ص ١٠٩ (بيروت ١٣٢٨ هـ) .

بالنبى وأعلن اسلامه أمامه ، وتبعه البعض فى هذا الأتجاه [٧]. ويروى ابن سعد فى الطبقات أن وفودا من أهل عمان رحلت الى المدينة والتقت بالنبى ﷺ لإعلان إسلامها وكان ذلك قبل الفتح وطلبوا من الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم شئون دينهم [٨] . وكان هذا قبل أن يبعث الرسول برسالته الى حاكمى عمان : عبد وجيفر ابنى الجلندى يدعوهما فيها الى الإسلام [٩]. فاذا أضفنا الى هذا أن أبا صفرة كان مقدما فى قومه أهل عمان وكان من أصحاب السيادة والزعامة .. فلما أسلم زاد شرفه وقدمه قومه[١٠] . فاننا نرجع حدوث رحلته الى المدينة ولقائه بالرسول ﷺ كما جاء فى رواية ابن حجر.

أما عن قول صاحب الإستيعاب بأن أبا صفرة لم يلتق بالرسول ﷺ وانما التقى بعمر بن الخطاب ، فهذه الرواية ينقصها الدقة . فانه من المعروف أن أبا صفرة قد التقى بأبى بكر الصديق بعد توليه الخلافة الإسلامية ، والروايات التى بين أيدينا تؤكد أنه فى أعقاب وفاة الرسول ﷺ عاد عمرو بن العاص من عمان ـ وكان واليا عليها - الى المدينة ، مصحوبا بوفد عمانى يقدر بحوالى سبعين فارسا على رأسهم أحد حاكمى عمان وهو « عبد بن الجلندى » وكان من بين أعضاء

(٧) نور الدين السالمى ، تحفة الأعيان ، ج١ ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١ (طبعة دار الشعب) .

(٩) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٩٣ .

(١٠) العوتبى ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

هذا الوفد أبو صفرة [١١] . وكان هذا الوفد في حقيقة أمره خفارة لعمرو بن العاص ، خوفا عليه من مخاطر الرحلة من عمان الى المدنية في ظل الأضطرابات التي شاعت بين القبائل في أعقاب وفاة الرسول ﷺ فكان عمرو بن العاص في رحلته « يلقى الناس مرتدين ، وقدم على الناس بالمدينة فطافوا به يسألونه ، فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا الى المدينة » [١٢]. لذلك ما كاد الوفد العماني يصل الى المدنية حتى التقى بالخليفة أبي بكر ، وتحدث أبو صفرة عن العمانيين فقدم إليه عمرو بن العاص سالما معافى وقال : « هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها اليك ، فقال أبو بكر جزاكم الله خيرا » [١٣].

ويؤكد صاحب الأغاني هذه الرواية العمانية فيقول : « وفد ابن الجلندى في الأزد ، أزد عمان .. فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة .. فدخل الى عمر مع ابن الجلندى » [١٤] . ويبدو أن الوفد العماني كان قد التقى في أول الأمر مع عمر بن الخطاب ثم حدث اللقاء بعد ذلك مع الخليفة أبي بكر ، لأن الروايات المتوفرة لاتذكر الا زيارة واحدة لابن الجلندى تلك التي ذكرناها والتي شارك فيها أبو صفرة .

---

(١١) راجع : ابن خلكان ، وفيات ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٩ .

(١٢) السالمي ، تحفة ، ص ٤٥ .

(١٣) نفسه ، ص ٤٣ .

(١٤) الأغاني ، ج٢ ، ص ٧٦ .

ثم يأتي ذكر أبي صفرة كأحد القواد الذين شاركوا في الحملات الإسلامية على بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان عمر قد أصدر تعليماته الى والي عمان في ذلك الوقت « عثمان بن أبي العاص الثقفي » بمراقبة تحركات الجيش الفارسي في الخليج ، وأن يتصدى له عند الضرورة ، ويبدو أن أبا صفرة كان على خبرة ودراية كبيرة بشئون البحر والملاحة البحرية وموضع ثقة أهل عمان في هذا المجال ، فعندما طلب عمر بن الخطاب من والي عمان أن يقطع الخليج بالسفن الى فارس طلب عثمان بن أبي العاص من أهل عمان أن يدلوه على من يشاوره في أمر هذه الحملة البحرية ، فاقترح عليه العمانيون أن يشاور أبا صفرة [١٥] .

وندب والي عمان المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل معظمهم من أزد عمان ، وكان من بين رجاله أبو صفرة وكان يقود قومه بني عمران [١٦] . وصحب أبو صفرة من أبنائه : النجف والمغيرة وحبيب [١٧] ، وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه الحملة من هزيمة القوات الفارسية في الخليج واستولى على جزيرة ابن كاوان ، وطارد الفرس حتى الضفة الشرقية للخليج وأوقع بهم الهزيمة في كرمان ،

---

(١٥) الأنساب ، ص ١٢٣ ، تحفة ، ص ٤٦ .

(١٦) بنو عمران من بطون الأزد نسبة الى عمرو بن عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر . (أنظر : تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤)

(١٧) الأنساب : ص ١٢٢ .

وأظهر أبو صفرة وأبناؤه ورجاله شجاعة وبسالة خلال هذه المعارك[18] .

واستمر أبو صفرة يشارك في المعارك التي خاضها المسلمون في الجبهة الفارسية في عهد عثمان بن عفان ، فيروى ابن خلدون أن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين الى فارس في الفين فسار الى « توج » ـ مدينة بفارس ـ وعلى مجنبتيه جارود العبدى وأبو صفرة والد المهلب ، وكان كسرى أرسل أحد قواده ويدعى « شهرك » في الجنود للقائهم ، فالتقوا بتوج وانتهى الأمر بهزيمة نمرس وقتل قائدهم « شهرك » وطاردهم المسلمون الى « سابور » وحاصروها حتى خضع أهلها للصلح[19] .

وبعد هذا الانتصار نزل أبو صفرة في توج واتخذها مقرا له مع أهله وجنده ولكنه انتقل بعد ذلك للاقامة في البصرة في خلافة عثمان بن عفان فرحب به واليها في ذلك الوقت عبد الله بن عامر[20]. وضم فرقة الأزد اليه لتكون تحت قيادته في البصرة[21].

---

(١٨) تحفة ، ص ٤٦ .

(١٩) تاريخ ابن خلدون ، م ٢ ، ص ٩٨٩ (بيروت ١٩٨٦) ، قارن : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢٠) ابن خال الخليفة عثمان ، تولى البصرة وسنه ٢٥ عاما بعد عزل أبي موسى الأشعرى (ابن أعثم ، الفتوحات ، م١ ، ص ٣٣٦) .

(٢١) الأنساب ، ص ١٢٥ ، تحفة ، ص ٤٨ .

ويأتي ذكر المهلب بن أبي صفرة في ذلك الوقت لأول مرة في الحملة التي قادها عبد الرحمن بن سمرة القرشي (ابن عم عبد الله بن عامر والي البصرة) الذي ولاه الخليفة عثمان على سجستان ، وقد شارك في الحملة على سجستان أبو صفرة وابنه المهلب ويقال أنه كان يبلغ من العمر في ذلك الوقت حوالي عشرين عاما ، وبعد معارك عنيفة استولى المسلمون على سجستان ، ثم توجه المسلون بعدها إلى كابل وكان المهلب أحد أبطال المعارك حول كابل حيث تمكن من اصابة ملك كابل أثناء المعركة مما أضطره الى الإستسلام وعقد الصلح مع المسلمين ، وأعلان اسلامه [٢٢] .

وتتفق هذه الحملة مع ما ذكره الطبري في أحداث سنة ٣٥هـ حيث أشار الى حملة شارك فيها المهلب بن أبي صفرة ، وهو أول ذكر للمهلب في تاريخ الطبري[٢٣]. ويؤكد تسلسل الأحداث ما رواه العوتبي من أن أبا صفرة غزا مع عبد الرحمن بن سمرة القرشي خراسان بالقوات التي كان قد خرج بها من عُمان ، ثم عاد من غزوته هذه في خلافة علي بن أبي طالب[٢٤].

والتقى أبو صفرة في مدينة البصرة بالخليفة علي بن أبي طالب

---

(٢٢) أنظر : قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٣٩٤ ، ابن أعثم ، الفتوحات م١ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٢٣) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٤٠٣ .

(٢٤) الأنساب ، ص ١٢٥ .

فى أعقاب موقعة الجمل ، ودار بينهما حوار يفهم منه أن أبا صفرة كان زعيما لقبائل الأزد فى العراق فى ذلك الوقت ، لأن عليا عندما أظهر شكواه مما قاساه من قومه ، قال له أبو صفرة : « والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضرا ما أختلف عليك منهم سيفان » فطلب على من أبى صفرة أن يأتيه بأحد أبنائه ليعقد له لواء أمان للذين هربوا بعد موقعة الجمل ، ليرجعوا الى بلادهم ورفض النجف بن أبى صفرة أن تسند له هذه المهمة لأنه كان حانقا على نتائج موقعة الجمل ، فوافق المهلب على القيام بهذا الدور ، فعقدت راية الأمان للمهلب ، ورجع معظم الفارين الى البصرة « وتيمن الناس بلواء المهلب » (٢٥).

ونحن لانعلم تاريخ وفاة أبو صفرة ، إلا أنه توفى بالبصرة فى أثناء ولاية عبد الله بن العباس لعلى بن أبى طالب على المدنية ، ويقال أنه توفى فى مسيره الى صفين (٢٦) . مما يرجع أن تكون وفاته حوالى سنة ٣٧هـ .

ليست هناك اشارة واضحة فى المصادر التى بين أيدينا عن الشخص الذى تولى رئاسة أسرة أبى صفرة فى أعقاب وفاته ، ولكن الدلائل توحى أن أهم الشخصيات فى هذه الأسرة آنذاك كانت ابنه

(٢٥) راجع التفاصيل : الأنساب ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢٦) أنساب ، ١٢٧ ، تاريخ المهلب ، ٢٥ .

(٢٧) يروى ابن خلكان أن المهلب من أصاغر ولد أبى صفرة ، ويحدد مولده قبل وفاة النبى بسنتين (وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٥١) .

المهلب ، فرغم صغر سنه بالمقارنة بإخوته (٢٧) . إلا أنه قد برز فى مجال الحرب والفروسية ، وعلت منزلته ـ كما أشرنا فى الصفحات السابقة ـ فكان هو المرشح الأول لتولى زعامة الأسرة بعد وفاة أبيه ، ويرجح هذا ما ترويه المصادر عن مساهمته فى غزو بلاد السند سنة ٤٤هـ ، وخاض خلال ذلك معركة عنيفة ضد جماعة من فرسان الأتراك ، وتمكن ببراعة من أن يقضى عليهم جميعا (٢٨) .وكان المهلب خلال هذه الفترة يقود جيشا من أهله الأزد (٢٩) . مما يشير الى أنه قد خلف أباه أيضا فى قيادة ما كان تحت من جند .

وفى رواية لليعقوبى أن معاوية بن أبى سيفان كتب الى زياد بن أبيه واليه على الكوفة : أن قبلك رجلا من أصحاب رسول الله فوله خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفارى ، فولاه زياد خراسان فغزا (هراة) وفتح (الجوزجان) وكان يشاركه فى المعارك المهلب بن أبى صفرة (٣٠) . الذى أظهر بأسا ومهارة فى قتال العدو .. واستمر المهلب يجاهد فى هذه الجبهة فى المناطق الوعرة وضد أشد العناصر السكانية قوة وضراوة فى القتال . فعندما غزا الحكم بن عمرو الغفارى جبال الترك سنة ٤٧هـ كان المهلب أحد قواد هذه الحملة ، وفى مرحلة من المعارك وقع جيش الحكم فى كمين للأتراك فأخذ عليهم الترك الشعاب والطرق ، وعندما تحرج موقف الحكم أسند القيادة الى المهلب

---

(٢٨) النويرى ، نهاية الأرب ، ٢٠ ، ص ٢٢٦ .

(٢٩) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٥٣١ .

(٣٠) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

بن أبي صفرة ، الذى تمكن عن طريق الحيلة والتدبير من أسر أحد زعماء الترك ، وساومه على حياته فى مقابل أن يدلهم على مخرج من الكمين ، وتمكن عن طريقه من النجاة بجيشه وما يحمله من غنائم من الحصار الذى فرضه عليهم الترك(٣١) .

ويبدو أن ما أظهره المهلب بن أبى صفرة من مهارة قتالية وحسن تصرف وحنكة فى المواقف العصيبة ، جعله أحد القادة المشهورين فى حروب الجبهة الشرقية ، فكان الولاة على خراسان يتمسكون بأن يكون فى صحبتهم المهلب بن أبى صفرة ، فعندما تحرك سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦هـ لولاية اقليم خراسان كان من بين قواده المهلب بن أبى صفرة(٣٢) . وقد شارك المهلب فى العديد من المعارك العنيفة فى هذه الفترة وخاصة غزو سمرقند ، ويقال أن سعيد بن عثمان والمهلب قد فقئت عيناهما خلال المعارك(٣٣) .

وفى خلافة يزيد بن معاوية ، ولى على خراسان وسجستان سلم بن زياد سنة ٦١هـ ، الذى خرج من الشام طالبا البصرة ليحمل معه أهله وولده ، وليعلم أهل البصرة بولايته بلاد خراسان ، ليخرج معه من أحب الجهاد فخرج معه المهلب بن أبى صفرة وعدد من سادات البصرة

---

(٣١) راجع : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٢٦٧ . قارن : تاريخ الطبرى ، ج٥ ، ص ٢٥١ الذى يروى هذه الحادثة فى أحداث سنة ٥٠ هـ .

(٣٢) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٣٠٥ .

(٣٣) راجع : بلاذرى ، فتوح ، ص ٥٠٨ .

وفرسانها [٣٤] . وزحفت جيوش سلم بن زياد على بخارى ، وكانت عليها ملكة تدعى « خاتون » ، فلما شعرت بالخطر ، أعلنت رغبتها فى الزواج من ملك الصغد على أن يأتى لتملك بخارى ، والوقوف فى وجه المسلمين ، فأقبل ملك الصغد فى مائة وعشرين ألف مقاتل ، وأمام هذا العدد الضخم رأى سلم ابن زياد أن يجعل على طليعة جيشه المهلب بن أبى صفرة ، وبعد معارك عنيفة تمكن المهلب من الحاق الهزيمة بجيش الترك وقتل ملك الصغد فى المعركة [٣٥] .

استمر سلم بن زياد على خراسان ، حتى وفاة يزيد بن معوية فى صفر سنة ٦٤هـ [٣٦] ، وأراد سلم بن زياد أن يكتم خبر موته خوف الفتنة بين القبائل ولكن الخبر ذاع فى الناس بعد فترة وكان خليفته معاوية الثانى قد مات هو الآخر ، فدعا سلم الناس الى البيعة على الرضا حتى تستقيم أمور الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم نكثوا بعد شهرين [٣٧] . فلما تأزمت الأمور أمام سلم بن زياد خرج من خراسان واستخلف عليها المهلب ابن أبى صفرة ، ولكن المهلب كان مدركا لحقيقة الصراع القبلى المحتدم فى خراسان وفى الشام ، فلم يشأ أن يقحم نفسه فى هذا الصراع ، لاسيما أن معظم القبائل وخاصة القيسية لم تكن راضية عن

---

(٣٤) تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٢٥٢ ، ابن أعثم ، م٣ ، ص ١٥٧ - ص ١٥٩ .

(٣٥) تاريخ اليعقوبى ، ص ٢٥٢ .

(٣٦) ابن أعثم ، م٣ ، ص ١٥٩ .

(٣٧) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٥٤٥ .

اسناد ولاية خراسان الى المهلب ، فيروى النويرى [٣٨]. أن سلم بن زياد لقى فى طريق عودته من خراسان فى مدينة سرخس سليمان بن مرثد (أحد بنى قيس بن ثعلبة) فقال له : أضاقت عليك نزارحتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن ، يعنى المهلب ، فما كان من سلم إلا أن ولاه بعض أقاليم خراسان وهى مرو الروز والفارياب والطالقان والجوزجان ، وولى أوس بن ثعلبة هراة . وفى نيسابور لقى سلم بن زياد عبد الله بن خازم السلمى وكان أحد الأشراف الذين صحبوه عند ولايته خراسان [٣٩] . فسأله من وليت خراسان ؟ فلما أخبره قال : أما وجدت فى مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان [٤٠] . وطلب منه أن يكتب له عهدا على خراسان ، فكتب له [٤١].

وتوجه عبد الله بن خازم الى مرو عاصمة خراسان ، وبلغ خبره المهلب الذى رأى أن خراسان مقبلة على فترة حرجة من الصراع القبلى من أجل السيطرة وفرض السيادة عليها ، وحسم المهلب أمره على ألا يكون طرفا فى هذا الصراع ، ولاسيما وأن النزاع كان على أشده فى الشام حول منصب الخلافة ، ويبدو أن ذكاء المهلب السياسى قد هداه

---

(٣٨) نهاية الأرب ، ٢٠ ، ص ٥١٣ .

(٣٩) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٤٠) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٥٤٦ .

(٤١) النويرى ، نفسه .

الى التخلى عن منصبه المؤقت كوال لخراسان فاستخلف عليها هرفجة بن الورد (من بنى جشم بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم) وانسحب من خراسان فى سلام ، ويؤكد حسن تصرف المهلب فى هذا الموقف وانسحابه من خراسان ما رواه الطبرى « لما مات يزيد بن معاوية ،ومعاوية بن يزيد ، وثب أهل خراسان بعمالهم ، وغلب كل قوم على ناحية ووقعت الفتنة ، وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب »[٤٢] .

(٤٢) تاريخ الطبرى ، نفسه .

الفصل الثاني

آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير

الفصل الثاني

آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير

عاد المهلبُ من خراسان سنة ٦٤هـ واستقر فى مقره بالبصرة مع رجاله ، ويظهر من الروايات التى بين أيدنا أن عبد الله بن الزبير كان يعرف قدر المهلب وأهمية أن ينضم رجل مثله الى صفوفه ، ونجح فى أن يجذبه للقائه في مكة حيث تشاور الرجلان . فيروى ابن خلكان أنه أثناء خلوة عبد الله بن الزبير بالمهلب يشاوره « فدخل عليه عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف .. فقال : من هذا الذى شغلك ياأمير المؤمنين يومك هذا ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا سيد أهل العراق ، قال : فهو المهلب بن أبي صفرة »[1] . ويبدو أن هذه المشاورات قد أسفرت عن اقناع عبد الله بن الزبير للمهلب بأن يتولى خراسان نائبا عنه .

وقد أثار هذا الأمر جدلا حول أخلاقيات آل المهلب نتيجة تحولهم من ولاء الى ولاء ، فبعد أن كانوا يعملون تحت راية الدولة الأموية تحولوا الى أعدائها من آل الزبير .

وفى اعتقادى أن العلاقة بين المهالبة وثورة عبد الله بن الزبير كانت علاقة طبيعية ومنطقية ، فالمهالبة منذ ظهورهم على مسرح

---

(١) وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٥١ .

الأحداث كانوا يمثلون أسرة محاربة يتسم قادتها بالشجاعة والبطولة فى ميدان الحرب والجهاد وكانت مناطق نشاطهم فى هذه الفترة التى نحن بصددها فى أقاليم العراق وما يليها شرقا ، ولما كانت معظم هذه المناطق قد أصبحت ـ بصورة أو بأخرى ـ ضمن نفوذ عبد الله بن الزبير ، فانه كان من الطبيعى أن يسعى ابن الزبير الى ضم القادة البارزين فى هذه المناطق الى جانبه ، ومنهم آل المهلب . ومما ساعد على ذلك غياب التأثير الأموى ، وانقطاع أجزاء كبيرة من الدولة ، وانشغال الأمويين بقضية الوراثة والبحث عن خليفة بعد موت معاوية الثانى .

وكانت خراسان فى ذلك الوقت مازالت فى حالة اضطراب ، فأقبل المهلب الى البصرة فى طريقه الى خراسان ٦٥هـ بتكليف من عبد الله بن الزبير ، وكانت شوكة الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق قد اشتدت على المدينة ، مما اضطر أمير البصرة عبد الله بن الحارث الى محاولة صد الأزارقة عن مدينته ، ودارت المعارك العنيفة بين الجانبين ، ورغم مقتل زعيم الأزارقة سنة ٦٥هـ الا أن الحرب استمرت وكانت الغلبة فيها للأزارقة الذين تمكنوا من الأقتراب بقواتهم من البصرة وأصبحت قريبة المنال « فأتى أهلها الأحنف ابن قيس وسألوه أن يتولى حربهم ، فأشار عليهم بالمهلب بن أبى صفرة »[٢].

وفى هذه الأثناء كان المهلب قد قدم من قبل عبد الله بن الزبير

(٢) راجع : ابن أعثم ، م٣ ، ص ٢٠١ ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

حاملا تقليده ولاية خراسان فخرج اليه أشراف أهل البصرة وكلموه فى حرب الأزارقة ويفهم من رواية اليعقوبى المكانة المرموقة التى كان يتمتع بها المهلب فى البصرة وبين أهلها ، فمن بين ما قاله أهل البصرة للمهلب فى هذا الموقف « أنت شيخ الناس وسيف العراق ، وقد ترى ما فيه أهل مصرك من هذه الخوارج المارقة ، والأقامة على منع بلدك والذب عن حريمك أولى من خراسان »[٣]. ويبدو أن المهلب رغب فى أن يكون تصديه للأزارقة بتكليف رسمى من جانب عبد الله بن الزبير ، وتشير المصادر الى كتاب وصل الى المهلب من ابن الزبير بتأجيل ولايته على خراسان واسناد مسئولية التصدى للأزارقة له ، وجاء فى هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عند أمير المؤمنين (عبد الله بن الزبير) .. فإن عاملى بالبصرة كتب إلىّ كتابا يذكر فيه أن قوما من خوارج الأزارقة المارقة .. قد عزموا على أن يقبلوا الى أرض البصرة لقتل الرجال وأخذ الأموال وهتك الحريم وسبى الذرية ، وقد رأيت أن تكون أنت الذى تلى قتالهم ، لأنك ميمون الطلعة ، مبارك على أهل مصرك ، والأجر فى ذلك أعظم من كل أجر ، فسر رحمك الله راشدا ، فانه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولاغير خراسان »[٤] .

(٣) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٤) راجع : تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٦١٥ - ٦١٦ ، ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٠٢ .

ولكن المهلب علق موافقته على حرب الأزارقة والتصدى لهذه المهمة الخطيرة بشروط ، فقال : « والله ما أسير اليهم الا أن يجعلوا الى ما غلبت عليه ويعطونى من بيت المال ما أقوى به من معى ، فأجابوه الى ذلك (٥) .وكتبوا بذلك وأرسلوه الى عبد الله بن الزبير فأمضاه (٦) .

ويفهم مما سبق أن المهلب كان حريصا على أن تكون حركته فى اتجاه الأزارقة بموافقة جميع الأطراف ، وفى نفس الوقت أن يؤمن لجيشه حاجته من التمويل خلال المعارك التى كان يتوقع لها أن تستغرق وقتا طويلا ، لذلك كان حرصه على أن يكون له ايراد الأراضى التى تقع فى يده ويستردها من الأزارقة .

وتمكن المهلب من حشد جيش يقدر بحوالى اثنى عشر ألفا (٧) . معظمهم من قومه أزد عمان ، ونظر فى بيت مال البصرة فكان لايفى بحاجة الجند ، فتفاوض المهلب مع تجار البصرة ، وأوضح لهم أن تجارتهم قد كسدت لانقطاع مواد الأهواز وفارس ، وتوقفت حركة التجارة لسيطرة الأزارقة على هذه المناطق ، وسألهم معاونته بالمال . ووعدهم بأن يمكنهم من تجارتهم ويرد لهم حقوقهم ، فاستجاب تجار البصرة « وأخذ المهلب من المال ما يصلح به عسكره » (٨) .

---

(٥) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ٢٦٥ ، نويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٤ .
(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .
(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .
(٨) المبرد ، الكامل ، ص ٢٢٦

وهكذا تصدى المهلب لمهمة حرب الأزارقة ابتداء من سنة ٦٥هـ وستصبح هذه المهمة أهم مشاغله فيما تلا ذلك من سنين حتى فى الفترات التى سوف تسند فيها هذه المهمة الى غيره ـ وهى قليلة ـ فقد كان يتابع الأحداث ، ويسدى النصح ، ويبدى الرأى . وقد دارت بين آل المهلب وبين الأزارقة فى هذه المرحلة معارك ضارية كانت فيها انتصارات وهزائم ، وظهرت فيها بطولات وتضحيات عظيمة من كلا الطرفين ، وسجلتها بالتفصيل معظم المصادر التى بين أيدينا ويهمنا من هذه المعارك ما يلقى الضوء على موضوعنا .

شارك آل المهلب منذ البداية في جيش المهلب الذى تحرك من البصرة سنة ٦٥هـ فكان على ميمنته ابناه يزيد وحبيب ، وعلى ميسرته ابناه المغيرة وقبيصة ، وعلى جناح ميمنته ابنه عبد الملك ، وعلى جناح ميسرته ابنه المفضل وفى كمينه ابناه زياد ومروان ، وبين يديه ابنه محمد وأخوه المعارك بن أبى صفرة [٩] .

وقبل بداية المعارك ضد الأزارقة ، كان على المهلب أن يوضح أهداف الحرب ودور الرجال وأهمية تضحياتهم ، فوقف بين رجاله ، ووجه كلامه الى بنيه وهو يعني جميع الجند ، وقال لهم « يابنى : أن أول غزوكم انصافكم لاخوتكم من المسلمين ، وأن تواسوهم بأنفسكم،.. فباشروا الحرب بأنفسكم ، واستقبلوا حر السيوف بوجوهكم

(٩) ابن أعثم ، م٣ ، ص ٢٠٤

وسنان الرماح بصدوركم ونحوركم ، وأعلموا انها منزلتان : اما شهادة، واما ظفر » [١٠] .

وكان على المهلب في بداية المعارك أن يزيح الأزارقة الذين كانوا يرابطون على الضفة الشرقية لنهر الفرات . وأن يعيد الجسر الذى يربط الضفتين ، ليتمكن من العبور بجيشه ، فأرسل ابنه المغيرة في السفن ، ونزل المغيرة على الضفة الشرقية للنهر وحارب الأزراقة فشغلهم وازاحهم عن مواقعهم حتى تمكن المهلب من اعادة عقد الجسر وعبر بكامل جيشه مما اضطر الأزارقة الى الأنسحاب ، فنهى المهلب أصحابه عن اتباعهم [١١] .

وكانت سياسة المهلب العسكرية في تعامله مع الأزارقة ، تعتمد على التريث ، ودراسة الموقف بدقة ، وعدم التسرع في الأشتباك أو خوض معارك قد تؤدى الى نتائج عكسية ، فأقام المهلب في موقعة أربعين يوما يجبى الخراج وينظم قواته ، وآتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه ، وتقوية جسور الثقة بينه وبين أهل البصرة وخاصة التجار « فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه ، فأسرع اليه الناس رغبة في مجاهدة الأزارقة ، ولما في الغنائم والتجارات » [١٢] حتى بلغ عدد قواته خلال هذه المدة ما يزيد على عشرين ألفا [١٣] .

---

(١٠) نفسه .

(١١) المبرد ، ص ٢٢٧ .

(١٢) نفسه .

(١٣) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٤٨ (بيروت ١٩٨٣) .

وتبع المهلب الأزارقة فى حذر ، وكانوا قد انسحبوا الى الأهواز، ورغم ما تحت يده من جيش كثيف الا أنه كان حذرا « ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه ، ووضع المسالح ، وأذكى العيون ، وأقام الأحراس ..وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها ، فكانت الأزارقة اذا أرادوا بيات المهلب ، وجدوا أمرا محكما ، فرجعوا ، فلم يقاتلهم انسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه »[14] . ولم يكن المهلب يكتفى بهذا بل كان يدس الجواسيس الى عسكر الأزارقة فيعرف أخبارهم وتحركاتهم[15].

ودارت معارك عنيفة فى منطقة الأهواز وما حولها بين الطرفين ، وبرز فيها آل المهلب الذين كانوا يخوضون المعارك بين جنودهم وقتل خلال هذه الفترة « المعارك بن أبى صفرة » بالقرب من نهر تيرى[16] ، ويبدو أن الأزارقة أرادوا أن يحسموا الموقف لصالحهم فتجمعوا بكل حشودهم وأسلحتهم ، ليخوضوا معركة فاصلة ضد المهلب ، وكان تجمعهم فى منطقة « وسليرى » بالأهواز[17].

ويفهم من وصف الطبرى لجيش الأزارقة آنذاك أنهم كانوا يتفوقون على جيش المهلب فى السلاح والعتاد « .. وجاءوا وهم أحسن

---

(١٤) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٦١٧ ، الروض ، ص ٢٤٨ .

(١٥) المبرد ، ص ٢٢٨ .

(١٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٧ ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٥ .

(١٧) المبرد ، ص ٢٣٣ .

عدة ، وأكرم خيولا ، وأكثر سلاحا من أهل البصرة،.. فجاءوا وعليهم مغافر تضرب الى صدورهم ، وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد الى مناطقهم » [18].

والتقى الجيشان فى معركة قاسية ، وكثف الأزارقة هجومهم على جيش المهلب حتى أحدثوا اضطرابا شديدا فى صفوفه ، وكادت الهزيمة أن تحيق بجيش المهلب « وضرب المهلب على رأسه ضربة منكرة فسقط عن فرسه الى الأرض وأحدقت به بنوه فجعلوا يحامون عنه أشد المحاماة .. » [19]. واستغل الأزارقة الموقف لبث الرعب فى جيش المهلب ، فنادى مناديهم : « ألا ان المهلب قد قتل » [20]. فكان لهذا النداء تأثيره على معنويات الجند لولا أن تدارك المهلب الموقف وصعد الى تل قريب من ميدان المعركة « وأخذ ينادى فى شباب الأزد وفتيان اليحمد [21]؛ أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار » [22]. « فثاب اليه جماعة من قومه أهل عمان » [23]. فاجتمع اليه منهم نحو ثلاثة آلاف سماهم الطبرى « سرية عمان » [24].

(١٨) طبرى ، ج ٥ ، ص ٦١٨ حوادث سنة ٦٥ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

(١٩) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٣٠٦ .

(٢٠) المبرد ، ص ٢٣٥ .

(٢١) اليحمد من الأزد والخليل من بطن منهم يقال له الفراهيد (المبرد ، ص ٢٣٦) .

(٢٢) طبرى ، ج ٥ ، ص ٦٢١ – ويكمل الطبرى الرواية فيقول : فأخذ فتيان منهم يكرون فيقاتلون ثم يرجعون اليه ويقولون : يا أبا علقمة ، القدور تستعار ! .

(٢٣) الروض ، ص ٢٤٨ ، المبرد ، ص ٢٣٤ .

(٢٤) طبرى ، ج ٥ ، ص ٦١٨ .

وقف المهلب فى هذه السرية بين قومه وقد شعر بالأمان والرضى ، وألقى فيهم كلمة تعبر عن ثقته الكاملة فى هذا العدد الصغير من رجاله الصامدين ، فهم خير من الذين أعطوا ظهورهم للأزارقة عندما احتدم القتال ، وفروا فى اتجاه البصرة ، وقال المهلب « فإن الله ربما يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيهزمون ، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ، ولعمرى ما بكم الآن من قلة ، انى لجماعتكم لراض ، وانكم لأنتم أهل الصبر ، وفرسان أهل المصر ، وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم ، فانهم ان كانوا فيكم مازادوكم الا خبالا »[٢٥].

وأراد المهلب أن يعوض قلة جيشه بالنسبة لجيش الأزرقة ، فأمر أصحابه بالإستعداد للهجوم استغلالا لفرصة مطاردة بعض فرسان الأزاقة للمنهزمين من رجاله فى اتجاه البصرة ، وأمرهم أن يجهز كل رجل عشرة أحجار وأن يعد مخالى لهذه الحجارة ، لمفاجأة الأزارقة بضربات الحجارة « .. فى وقت الغفلة ، فانها تصد الفارس وتصرع الراجل»[٢٦]. وزحف المهلب برجاله الى الأزارقة ، فما شعروا إلا والمهلب يهاجمهم والحجارة تستعرض وجوههم من كل جانب ورجاله تحيط بهم وتعمل فيهم القتل ولم يمض الا وقت قصير حتى قتل زعيمهم« عبيد الله بن الماحوز » وقتلت أعداد كثيرة من الأزارقة واستولى المهلب على معسكرهم وما فيه[٢٧]. وقد حقق آل المهلب

(٢٥) نفسه .

(٢٦) المبرد ، ص ٢٣٥ .

(٢٧) الروض ، ٢٤٨ .

وقومهم من أهل عمان النصر الحاسم فى هذه المعركة على الأزارقة ، وكان المغيرة بن المهلب أحد الأبطال المشهود لهم خلالها ، فوصفه ابن أعثم بأنه كان « أشد ما تكون الحرب ، أشد ما يكون تبسما » (٢٨).

وكانت أخبار هزيمة المهلب في بداية المعركة قد وصلت الى البصرة، وتناقل الناس خبر قتل المهلب ، ونُعي بالبصرة ، فنسى الناس رجالهم وأقام أهل كل دار يكون المهلب لايسألون عن أحد غيره ، واجتمع بعضهم في مسجد البصرة يكون (٢٩). وهمّ معظم الناس بالنقلة الى البادية خوف السلب والنهب من جانب الأزارقة الذين توقعوا اقتحامهم للمدينة بين لحظة وأخرى ، لذلك ما كاد المهلب يوقع بالأزارقة حتى بعث الرسل الى البصرة ليبشر أهلها بالنصر ويعلمهم بسلامته ، وكتب كتابا بذلك الى والى البصرة ، فأقام الناس ، وتراجع من كان قد هرب منهم خوف الأزارقة (٣٠) وفى نفس الوقت فقد وضع المهلب كمائن من رجاله وفرسانه فى طريق عودة الأزارقة الذين كانوا يطاردون فلول الجيش المنهزم فى اتجاه البصرة فأوقعوا بهم وقضوا على معظمهم الا من فر منهم وكان ذلك سنة ٦٦هـ (٣١).

انصرفت فلول الأزارقة بعد هزيمتهم فى « سلى وسليرى » ليعيدوا تنظيم صفوفهم من جديد و يبدو أن الأزراقة بعد الضربة العنيفة التى

---

(٢٨) ابن أعثم ، نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٣٠) الروض ، ص ٢٤٨ ، المبرد ، ص ٢٤٠ .

(٣١) الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٦ – ٢٠٠ .

وجهها لهم المهلب فى هذه المعركة ، قد أدركوا أنهم يحاربون المهلب فى شخصه ، وأنه أخطر أعدائهم ، وأن حسن قيادته وذكائه العسكرى ومقدرته الكبيرة على ادارة المعارك وتحويل الهزيمة الى نصر ، هى تدبير أهم أسباب نكبتهم فى معركتهم الأخيرة ، لذلك عمد الأزارقة الى التخلص من المهلب، ونصبوا كمينا لاغتياله وندبوا لهذه المهمة مائة فارس من خيرفرسانهم ولكن المهلب كشف أمر الكمين، وأفشل مادبره الأزارقة لقتله(٣٢) ، وانسحب الأزارقة الى كرمان وأصبهان ، وسيطرالمهلب بذلك على أقليم الأهواز ، وأقام بقية سنة ٦٦هـ يجبى الخراج ووزع الأرزاق على جنده ، وجذب الرخاء والعطاء السخى أعدادا كثيرة من أهل البصرة ، فأثبتهم المهلب فى الديوان ورزقهم حتى بلغت جيوشه ثلاثين ألفا(٣٣) وظل المهلب فى موضعه بالأهواز مقيما على حرب الأزارقة حتى عُزل الحارث بن عبد الله عن ولاية البصرة ووليها مصعب ابن الزبير من قبل أخيه سنة ٦٧هـ (٣٤).

وعندما أقبل مصعب بعث الى المهلب وهو على حرب الأزارقة رسالة يفهم منها التقدير الذى كان يحظى به آل المهلب بسبب جهودهم فى صد خطر الأزارقة ، وجاء فيها « .. فان الناس لو أعطوا كل إنسان قدره لقدمت فى العرب قاطبة غير مدافع .. فان طاعتك

---

(٣٢) راجع التفاصيل : المبرد ، ص ٢٣٩ .

(٣٣) تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٣٤) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٤٤ .

وحسن بلائك بلغ بك عندنا كل الذى تحب ، وما نرجو لك به من ثواب الله أجـزل وأفـضل ، وأنت عندنا الأمين ، ولك بذلك عندنا الكرامة والفضيلة »[٣٥].

أراد مصعب بن الزبير مواجهة خطر حركة المختار بن أبى عبيد الثقفى فى العراق على نفوذ الزبيريين ، ولا سيما وأن المختار بعد انتصاره على جيوش الأمويين وانتقامه من المشاركين فى مذبحة كربلاء، كانت قد خضعت له الكوفة وسوادها الى حلوان والرى وما والاها ، وكانت الجزيرة بأجمعها فى قبضة ابراهيم بن الأشتر ، وكان الأمويون يسيطرون على الشام ومصر أما عبد الله بن الزبير فكان مسيطرا على الحجاز واليمن ، ومصعب واليا على البصرة والمهلب بن أبى صفرة من قبل مصعب قائما على حرب الخوارج . وأدرك مصعب أهمية أن يتخلص من المختار حتى يصفو له العراق وكان يرغب أن يحشد لهذا الأمر أعظم قواده ، ومع علمه بخطورة الأزارقة على العراق الا أنه كان حريصا على وجود المهلب الى جانبه فى صراعه مع المختار ، فكتب مصعب كتابا الى المهلب يخبره بعزمه على المسير الى الكوفة لحرب المختار ، ورغبته فى أن يكون معه ، وطلب منه أن يولى بعض أولاده حرب الأزارقة ويقبل اليه بالبصرة [٣٦] وأراد مصعب أن يتأكد من موافقة المهلب على الحضور اليه ، فأرسل كتابه مع أحد قادته الموثوق بهم ،

---

(٣٥) ابن أعثم ، م٣ ، ص ٢٢٠ .

(٣٦) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٤٥ .

وهومحمد بن الأشعث بن قيس الكندى (٣٧) ليقنعه بأهمية وجوده بالبصرة فى هذه الفترة الحرجة ، والتقى ابن الأشعث بالمهلب بسابور، ويبدوأن المهلب كان كارها أن يترك موقعه فى مواجهة الأزارقة (٣٨) ولكن ابن الأشعث شرح له خطورة الموقف فى العراق ، فاستجاب المهلب .

قدم المهلب الى البصرة « فى تجمل عظيم ومال ورجال وعدد وعدد وجيش كثيف ، ففرح به أهل البصرة » (٣٩) ، ورحب مصعب بقدوم المهلب الى البصرة ، وتأهب لقتال المختار وجعل على كل قبيلة من قبائل العرب رئيسا منها ، فكان المهلب بن أبى صفرة على قبائل الأزد (٤٠) وتولى قيادة ميسرة الجيش (٤١) وأبلى المهلب ورجاله بلاء حسنا فى حربهم ضد المختار (٤٢) وتمكنت قوات مصعب بن الزبير بعد معارك عنيفة من التخلص من المختار الذى قتل أثناء القتال وسيطر مصعب على ماتحت يده من أملاك (٤٣) .

وبعد أن تخلص مصعب بن الزبير من خطر المختار،كتب الى

---

(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص ٣٠٨ (القاهرة ١٩٣٣) .

(٣٨) طبرى ، ج ٦ ، ص ٩٤ .

(٣٩) ابن كثير ، نفسه .

(٤٠) ابن أعثم ، م٣ ، ص ٣١٨ .

(٤١) ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٦٨ .

(٤٢) راجع التفاصيل : النويرى ، ج ٢١ ، ص ٤٦ - ٤٨ .

(٤٣) ابن أعثم ، م٣ ، ص ٣٢٦ .

ابراهيم بن الأشتر يدعوه الى طاعته ، فأقبل اليه بالطاعة ، فولى مصعب المهلب بن أبى صفرة الأقاليم التى كان يسيطر عليها ابن الأشتر وهى الموصل والجزيرة وارمينية وأذربيجان وعزله عن حرب الأزارقة (٤٤) ويبدو أن هدف مصعب من ذلك حسب رواية ابن خلدون «ليكون بينه وبين عبد الملك» (٤٥).

ومن المرجح أن عزل المهلب عن حرب الأزارقة وتوليته مكان ابراهيم بن الأشتر لم يكن الهدف الحقيقى منه حماية العراق من الخطر المتوقع من عبد الملك بن مروان كما ذكر ابن خلدون ، ولعل مارواه ابن خلدون هو ما أعلنه مصعب لتبرير هذا التصرف ، لأن ابراهيم بن الأشتر ـ بما عرف عنه من حقد على الأمويين ـ وكان يمكنه أن يظل على ماتحت يده ، وأن يتولى الوقوف بين العراق والشام ، والسبب الحقيقى وراء عزل المهلب عن حرب الأزارقة كما تشير المصادر هو أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصركثيرة من أهل العراق ، ومن القيسية على وجه التحديد لما حازوه من ثروات طائلة ، وما اتصفوا به من كرم وسخاء كان مضرب الأمثال، وقد أتاح لهم ذلك ، الشرط الذى أخذه المهلب على الزبير يين قبيل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥هـ بأن يجبى أموال الأقاليم التى يسيطر عليها ، والتى يستردها من قبضة الأزارقة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ بالاضافةالى ما اتصف به المهالبة

---

(٤٤) طبرى ، ٦ ، ص ١١٢ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

(٤٥) تاريخ ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٧٢ .

من بطولات خلال المعارك جعلتهم موضع تقديـر واحترام الخاصة والعامة ، ويظهر أن عناصر من الحاقدين على المهلب دست عليه عند مصعب ، وقال قائلهم « أن المهلب رجل يحب مطاولة العدو لما يجبى من البلاد ، ولو عزلته ووليت غيره حرب الأزارقة لكان فى ذلك هلاك العدو وتوفير المال على أمير المؤمنين »[46] فاستجاب مصعب لهذا الرأى وأحدث تغييرا فى القيادات فوجه عمر بن عبيد الله اب معمر التميمى على فارس ، وأسند اليه مهمة حرب الأزارقة وأمر المهلب بالتوجه الى الموصل والجزيرة وأرمينية[47] .

والواضح أن عمر بن عبيد الله كان مقتنعا بما قيل عن المهلب ن إطالة أمد الحرب لجبى الأموال ، وكان يظن أنه يمكنه أن يحسم لمعارك مع الأزارقة فى أقصر وقت ، فلما سار الى خراسان كتب أبياتا جاء فيها:

قل للأزارق الذين تجمعوا ... بسابور أنى لست مثل المهلب
يقاتلكم حتى اذا ما رآكم ... أقام فلم يبعد ولم يتقرب
وكان امرؤ يجبى الخراج بكيده ... يخرب أخلاق البلاد لمجلب
فاطمعكم فيه تقارب خطوه ... اليكم وهذا منه شبه التلعب[48]

ولعل الغريب فى هذا الأمر أن الذى رد على ابن معمر ودحض

(٤٦) ابن أعثم ، م٣ ، ص ٢٢٠ .

(٤٧) طبرى ، ج٦ ، ص ١١٩ ، النويرى ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٥ .

(٤٨) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٢١ .

ادعاءه على المهلب في هذه الأبيات هو عبيدة بن هلال اليشكرى أحد زعماء الأزارقة فقال :

تأن ولا تعجل علينا ابن معمر فلست وان أكثرت مثل المهلب
ولا لك في الحرب المحلب حظة ولا لك من يفديك بالأم والأب(٤٩)

وهكذا يتضح ادراك الأزارقة لقوة شكيمة المهلب في الوقت الذى يطعن فيه ابن معمر في مقدرته العسكرية . وقد جنى ابن معمر نتائج سوء تقديره لقوة الأزارقة والمهالبة .. فلما تحرك بجيشه في اتجاه سابور ، وكانت الأزارقة تراقب حركته وأفسحوا له الطريق حتى اقترب منهم ، وأمسكوا عنه ومكنوه ، حتى اذا كان الليل إذ الأزارقة قد داهمته من أربع جهات ، على كل جهة منها رئيس من رؤسائهم : عبيدة ابن هلال اليشكرى ، وعمرو القنا العنبرى ، وعطية بن الأسود الحنفى وقطرى بن الفجاءة المازنى ، واحتدم القتال بين الجانبين ، وحمل قطرى على ابن معمر وضربه بعمود على بيضته فهشمها على رأسه فولى هاربا حتى اختلط بأصحابه ، ورفعت الأزارقة المشاعل على رؤوس الجبال وأطراف الرماح فتحول الليل الى نهار واشتد القتال .. وفي هذا الموقف الصعب أدرك ابن معمر سوء تقديره وتسرعة ، فالتفت الى رجل من عبد القيس كان قد شارك في حروب المهلب ضد الأزارقة ، وسأله كيف كان المهلب يصنع في مثل هذا الموقف ، فرد عليه الرجل :

---

(٤٩) نفسه ص ٢٢٢ - هكذا وردت الأبيات في المصدر

« أيها الأمير انه قد ذهب الرأى وبقى الصبر » [٥٠] وانهزم أصحاب ابن معمر هزيمة قاسية ، وأخذتهم سيوف الأزارقة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وزحفوا على معكسرهم فاستباحوه وأخذوا كل ما فيه ثم رجعوا الى مقرهم فى سابور بالغنائم .

والطريف فى الأمر أن عمر بن عبيد الله بن معمر أراد أن ينحي بالملائمة على جنده من أهل البصرة ويحملهم مسئولية ما لحق به من هزيمة ، واتهمهم بعدم الأخلاص فى قتال الأزارقة وهم تحت قيادته مثل اخلاصهم للمهلب ، واتهمهم بالتعصب وقال لهم : « انكم تقولون هذا رجل قرشى حجازى ، خيره لغيرنا وشره لنا » [٥١]، فرد عليه أحد فرسان الأزد قائلا : « أيها الأمير ، إن المهلب كان يقاتل بنا قتال الصعلوك ، ويسوسنا سياسة الملوك ، حتى سكنا اليه فى الليل وآنسنا اليه فى النهار » [٥٢].

واستمرت المعارك بعد ذلك بين الأزارقة وبين ابن معمر واشتبك الجانبان فى معارك غير حاسمة أسهب المؤرخون فى ذكر تفاصيلها [٥٣] ، وكان أهم انجاز للأزارقة فى ذلك الوقت أن تمكنوا من اختراق صفوف جيش ابن معمر الى الأهواز مما أغضب مصعب بن الزبير عليه ، واضطر الى الخروج بنفسه لحماية البصرة من الوقوع فى

---

(٥٠) راجع التفاصيل : ابن أعثم ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٥١) المبرد ، ص ٢٤٣ .

(٥٣) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٢٤ .

يدهم، فاتجهوا الى الكوفه ولكن نائب مصعب عليها تمكن من ردهم فعادوا الى الرى واستولوا عليها بعد قتل واليها يزيد بن الحارث .

وأثناء ذلك قتل زعيم الأزارقة الزبير بن الماحوز فولوا عليهم قطرى بن الفجاءة الذى انسحب الى كرمان وجبى الأموال وأعاد تنظيم صفوفه ثم اتجه الى الأهواز وحقق سلسلةمن الإنتصارات حتى أصبح يهدد البصرة ، وكان عامل البصرة لمصعب بن الزبير سنة ٦٨هـ هو الحارث بن أبى ربيعة فكتب له بخطر الأزارقة على مدينته ونصحه بأن ليس لهم إلا المهلب(٥٤) .

أدرك مصعب بن الزبير الخطأ الذى وقع فيه عندما أرسل المهلب الى الموصل وعزله عن حرب الأزارقة ، فاستدعى مصعب المهلب من الموصل ، وأعاد اليه مهمة حرب الخوارج والمسير اليهم وأعاد الوضع على ما كان عليه قبل ذلك بأن بعث ابراهيم بن الأشتر الى عمله الأول . وجاء المهلب حتى قدم البصرة ، وانتخب الناس ، وسار بمن أحب ثم توجه نحو الأزارقة والتقى بهم فى معارك عنيفة فى منطقة « سولاف » « فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس » (٥٥).

استمر المهلب فى صراعه ضد الأزارقة حتى سنة ٧١هـ وفيها تحرك الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان الى العراق لضمها الى حظيرة الدولة الأموية ، وكان مصعب مقيما وقتها بالبصرة ويبدو أنه فكر

---

(٥٤) طبرى ، نفسه ، ص ١٢٧ .

(٥٥) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، نويرى ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٧ .

فى الأستعانة بالمهلب بن أبى صفرة ليقف بجانبه فى هذا الوقت العصيب، ويقال انه استدعاه ليستشيره ويستعين به فى تقدير الحالة ، وكان رأى المهلب أن يبقى مع مصعب حتى يمكنهما صد خطر عبد الملك ، ولاسيما أن أهل العراق قد مالوا الى جانبه وكاتبوه (٥٦) . ولكن أهل البصرة كان لهم رأى آخر ، فقد اشترطوا على مصعب أنهم لن يسيروا معه لحرب عبد الملك بن مروان إلا اذا اطمأنوا على مصرهم من خطر الأزارقة ، وأن يظل المهلب على حربهم فقد كانت لهم تجارب سابقة فى هذا الشأن وأثبت المهلب انه القائد الوحيد الذى استطاع التصدى للأزارقة ومنع خطرهم عن البصرة ، وقال مصعب للمهلب « وأنا أكره اذا سار عبد الملك الى ألا أسير اليه ، فاكفنى هذا الثغر » (٥٧) .

ورغم أن مصعب بن الزبير قد حاول أن يحشد جيشا قويا لمواجهة عبد الملك واستدعى ابراهيم بن الأشتر من الموصل وجعله على مقدمته فى حربه مع عبد الملك (٥٨) الا أن عبد الملك تمكن من ايقاع الفرقة بين أصحاب مصعب وانتهى الأمر بقتله (٥٩) ولما سمع أهل البصرة الذين كانوا يقاتلون الأزارقة دفعا عن مصرهم خبر قتل مصعب ، بايعوا عبد الملك بن مروان ، وبايع قائدهم المهلب بن أبى صفرة (٦٠) فكافأه عبد

(٥٦) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٥٠ .

(٥٧) نفسه ص ١٢١ ، قارن : الأغانى ، ج ١٧ ، ص ١٢٣ .

(٥٨) ابن خلدون ، م ٣ ص ٧٢ .

(٥٩) راجع التفاصيل ، طبرى ، ج ٦ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٦٠) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٨٠ .

وأثنى عليه ثناء كثيرا [٦١] .

وهكذا انتقل ولاء المهلب بن أبى صفرة من الزبيريين الى الأمويين فى أعقاب مقتل مصعب بن الزبيز ، وسيطرة عبد الملك على العراق سنة ٧١هـ ومازال عبد لله بن الزبير يصارع الأمويين من مقره فى مكة ، ويبدو أن المهلب قد أدرك اتجاه رياح التغيير وأن الظفر فى النهاية سيكون للدولة الأموية ، وقد حدث ما توقعه حيث قضى الأمويون على ثورة عبد الله بن الزبير بقتله في مكة سنة ٧٣هـ [٦٢] .

---

(٦١) ابن كثير ، البداية ، ج ٨ ، ص ٣٤٨ .

(٦٢) راجع : طبرى ، ج ٦ ، ص ١٨٧ وما بعدها .

الفصل الثالث

ولاء آل المهلب للدولة الأموية حتي القضاء علي الأزارقة (٧٢هـ)

ولاء آل المهلب للدولة الأموية حتي القضاء علي الأزارقة (٧٢هـ)

ذكرنا أن المهلب بعد مبايعته لعبد الملك بن مروان سنة ٧١هـ ، اقره الأخير على أقليم الأهواز وشكره على موقفه من الجهاد ضد الخوارج الأزارقة واثنى عليه . وفى سنة ٧٢هـ استعمل عبد الملك على ولاية البصرة « خالد بن عبد الله بن أسيد » الذى بادر الى عزل المهلب عن حرب الأزارقة وأسند اليه خراج الأهواز ، ولم يستمع الى نصحية وجوه أهل البصرة بان يترك أمر حرب الأزارقة للمهلب لدرايته وخبرته بهم ، ولكن خالدا كان يحقد على المهلب لما وصل اليه من شهرة ، وما يتمع به من تقدير الخليفة عبد الملك، وقال لمن حوله من بنى عمومته : « يامعشر قريش .. والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر ، وأمير المؤمنين يظن أن أحدا لا يقوم مقام المهلب » (1)

وبعث خالد أخاه عبد العزيز بن عبد الله مكان المهلب على حرب الأزارقة (2) على أمل أن يحوز بعض ما ناله آل المهلب من علو المكانة وتقدير الخليفة الأموى . ولك النتائج كانت مخيبة للآمال اذ خرج عبد العزيز فى اتجاه فارس وجعل يطوى البلاد حتى وصل مدينة يقال لها جور (3) من أرض فارس ، فأرسل له قطرى بن الفجاءة زعيم الأزارقة أحد

---

(١) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٤٠٦ .

(٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٩ ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٤٧ .

(٣) مدينة بفارس ، بينها وبين شيراز عشرون فرسخا ، راجع معجم البلدان لياقوت ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

رجاله يدعى « صالح بن مخراق » فى عدد من الفرسان ، وكمن صالح لجيش عبد العزيز وهو يسير ليلا فى غفلة وعلى غير نعبئة ، وانقض عليه من كل مكان فانهزم عبد العزيز بالناس ، وأسرت زوجته ابنّه المنذر ابن الجارور ووضع صالح السيف فى أصحابة فقتل منهم أعداد كبيرة [٤] وفر عبد العزيز من ميدان المعركة حاملا الخزى والعار لأسر زوجته ، وقد عبّر عن هذا الموقف أحد الشعرا فى قصيدة جاء فيها:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم وتركتهم صرعى بكل سبيل
وتركت جيشك لاأمير عليهم فارجع بعار فى الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبية تبكى العيون برنة وعويل [٥]

ولما وصل خير هزيمة عبد العزيز بن عبد الله الى عبد الملك بن مروان غضب لهذا التصرف من جانب والى البصرة بعزله المهلب عن حرب الأزارقة ، ووجه اليه كتابا عنيفا يؤكد مكانة المهلب العالية ، وتقدير الخلافة الأموية لجهوده وحسن بلائه ، وجاء فى كتاب عبد الملك « .. قبّح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال ، وتدع المهلب يجبى الخراج ، وهو الميمون النقيبة ، الحسن السياسة ،البصير بالحرب ، المقاسى لها ، ابنها وابن أبنائها ، أنظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز ، وقد بعثت الى بشر بالكوفة[٦]

(٤) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٩ .

(٥) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٤٨ ، ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٤١١ ، البطائر ، ص ٤٧ .

(٦) هو بشر بن مروان ، أخو الخليفة عبد الملك بن مروان وكان واليا على الكوفة من قبل أخيه عبد الملك (راجع : طبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٩) .

أن يمدك بجيش ، فسر معهم ولاتعمل فى عدوك برأى حتى يحضره المهلب واسلام »[٧] .

ويعلق الطبرى على رسالة عبد الملك الى خالد بن عبد الله والى البصرة ، بأن أكثر ماشق على نفس والى البصرة هو إخضاع رأيه فى قتال الأزارقة لرأى وتوجيهات المهلب ابن أبى صفرة[٨] .

وتجمعت جيوش الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، والبصرة بقيادة خالد بن عبد الله ، والتقى الجميع بالأهواز بالمهلب ، وكانت القيادة لوالى البصرة الذى جعل المهلب على ميمنته وداود بن قحذم على ميسرته وزحفوا للقاء الأزارقة ورغم نصيحة عبد الملك لوالى البصرة بأن يستشير المهلب ويأخذ برأيه لخبرته الطويلة فى حرب الأزارقة ، الا أن العصبية القبليـة كانت عاملا مؤثرا ومسيطرا على مشاعر القادة فى ذلك الوقت ، فعندما أشارالمهلب على خالد بن عبد الله بأن يتحرز على السفن الكثيرة التى كانت بساحل الأهواز ويحتاط حتى لايحرقها الأزراقة ، لم يصغ خالد اليه ، ولم يمض وقت طويل الا وكان الأزارقة قد أشعلوا فيها النار[٩] ، ورغم هذا فان الأزارقة لم تدخل فى قتال حاسم ضد جيش خالد ، ويبدو أن كثرة عدد ذلك الجيش ووجود المهلب بين صفوفه قد جعلهم يتريثون فى الصدام معه

---

(٧) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٤٩ .

(٨) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٧١ .

(٩) نفسه ، ص ١٧٢ .

فانسحبوا الى عمق فارس ، فأرسل خالد صاحب ميسرته فى أثرهم وعاد هو الى البصرة وأقام المهلب فى الأهواز [10].

ويفهم من النصوص التاريخية أن عبد الملك بن مروان كان يدرك أن حسم المعارك فى المشرق ضد الأزارقة ليس له إلا المهلب ، وكان يثق فى مقدرته العسكرية وخبرته الطويلة فى حرب الأزارقة ، فرغب عبد الملك فى تقوية جيشه ومساندته لانجاز هذه المهمة ، ففى سنة ٧٤هـ أمر عبد الملك أخاه بشرا ـ وكان قد أضاف اليه ولاية البصرة مع الكوفة ـ أن يكلف المهلب بمحاربة الأزارقة ، وأن يترك له حرية اختيار من يشاء من أهل البصرة ، وأن يتركه فى الحرب ورأية ، وحذره من أن يقع فيما وقع فيه خالد بن عبد الله من قبل ، وهدده بالعزل إن فعل ذلك [11] فاستدعى بشر المهلب ، وقرأ عليه كتاب عبد الملك بن مروان بتكليفه بحرب الأزارقة وأعطاه حرية أن يختار من يشاء من الرجال ، فأسند المهلب مهمة اختيار الجند الى أحد أقاربه وهو جديع بن سعيد الأزدى ـ خال ابنه يزيد ـ ، وأمره أن يأتى الديوان فيختارالناس [12].

خرج المهلب من البصرة فى عشرة آلاف رجل من قبيلته الأزد ، وثمانية آلاف من أخلاط القبائل ، ودخل المهلب بجيوشه الأهواز بعد

(١٠) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٤٩ .
(١١) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٤١٨ .
(١٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٩٦ .

أن رحل عنها الأزارقة الى أرض سابور بفارس لينظموا صفوفهم استعداد لجولة جديدة من المعارك مع المهلب الذى أقام فى الأهواز عدة أيام ثم رحل حتى نزل بمدينة رامهرمز فى جموعه [١٣].

شعر بشر بن مروان بالغضب الشديد على المهلب، وملأ قلبه الحقد لما حباه به الخليفة من علو المنزلة، وشق عليه أن إمرة المهلب على الحرب جاءت من قبل عبد الملك [١٤] مما يجعل بشر بن مروان مقيدا لا يستطيع أن يبعث غيره لحرب الأزارقة فيتعرض لعقاب الخليفة مما أوغر صدره، وفكر فى الكيد له بارسال أحد رجاله من الكوفة يشاركه القيادة ويستبد بالأمر، ولا يستمع لمشورته، فاختار لهذه المهمة عبد الرحمن بن مخنف وكما يروى ابن الأثير، انفرد بشر بعبد الرحمن وحرضه على المهلب، وقال له « خالفه فى أمره، وأفسد عليه رأيه، ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصر به » [١٥]. ولكن يبدو ان بشرا قد أساء الإختيار، ولم يقع على الرجل المناسب لهذه المهمة، فإذا كان ما يحرك بشر ضد المهلب هو العصبية القبلية، فان عبد الرحمن بن مخنف من الأزد، وضاقه أن يسب بشر المهلب ويطعن فى مقدرته وشرفه، وعلق عبد الرحمن لخاصته على ما قاله بشر فى حق المهلب « .. فترك أن يوصينى بالجند، وقتال العدو .. وأقبل يغرينى

(١٣) ابن أعثم، م ٣، ص ٤٢٢.

(١٤) ابن خلدون، م ٣، ص ٩١.

(١٥) الكامل، ج ٤، ص ٣٦٧.

بابن عمتى كأنى من السفهاء .. » [١٦] . وتظاهر بأنه يستجيب لبشر وهو يضمر فى نفسه التعاون مع المهلب والطاعة له.

وكان المهلب عندما وصل الى رامهرمز و التقى بالأزارقة ، أقام خندقا حول معسكره وتحرزّ من مفاجآت الأزارقة التى خبرها لطول عهده بهم ، وأقبل جيش الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن مخنف فنزل بالقرب من معسكره ، ولم تمض عشرة أيام حتى جاء إلى رامهرمز خبر وفاة بشر بن مراون في البصرة سنة ٧٤هـ [١٧] .

عندما بلغ جند البصرة والكوفة خبر موت بشر بن مروان لم يستقروا فى مواقعهم لتحقيق الهدف الذى جاءوا م أجله الى رامهرمز ، فانسحب عدد كبير من الجند ، ويبدو من رواية الطبرى أن معظم الذين هربوا من رامهرمز وكرهوا مواصلة القتال هم من أهل الكوفة الذين كانوا تحت أمرة عبد الرحمن بن مخنف ، وكان على رأس الهاربين بعض قواده مثل زخر بن قيس واسحاق بن محمد بن الأشعث، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ، ورغم أن ابن مخنف أرسل فى أثرهم ابنه جعفرا ، وتمكن من رد اسحاق ومحمد الا أنهما تمكنا من الهرب مرة أخرى [١٨] وفشلت محاولات والى البصرة فى اقناع هؤلاء الفارين بالعودة الى ميدان المعركة ، وكانوا مازالوا فى الأهواز ، وأرسل لهم كتابا قرأه عليهم أحد رجاله به الكثير من التهديد والوعيد إن لم

---

(١٦) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(١٧) الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

(١٨) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٩٧ .

يستحيبوا لأوامره بالعودة ، ولكن زخر وأصحابه سخروا منه ولم يلتفتوا اليه [١٩] ، وأرادوا دخول الكوفة ، وكتبوا الى واليها عمرو بن حريث يستأذنونه في الدخول ، ورغم رفض والى الكوفة لمطلبهم الا أنهم تسللوا الى المدينة ليلا ، وظلوا بها حت مجيء الحجاج سنة ٧٥هـ .

وبالنظر إلى ما سبق من أحداث يمكننا أن نرجح أن معظم أصحاب المهلب من أهل البصرة ظلوا في مكانهم في رامهرمز تحت قيادة المهلب لتحقيق الهدف الذى خرجوا من أجله والتصدى للأزارقة ، وأن أصحاب ابن مخنف من أهل الكوفة هم الذين تركوا أماكنهم وانسحبوا الى مصرهم ، مما يوحى بأن خروجهم كان عن غير رغبة وأقتناع ، فآثروا السلامة العودة بعد موت أمير هم ، أو لأنهم رفضوا أن يعملوا تحت قيادة المهلب ، وقد علموا بتحريض بشر لابن مخنف بعدم التعاون مع المهلب وصادفوا غير ذلك ، ويفهم هذا المعنى من قول الحجاج بعد ولايته الكوفة مخاطبا هؤلاء الفارين « .. وبلغنى رفضكم المهلب ، إقبالكم على مصركم عصاة مخالفين » [٢٠].

وكيفما كان الأمر فان القوات الباقية في رامهرمز رغم نقص عددها الا أن القيادة الحكيمة للمهلب والتعاون بينه وبين ابن مخنف قد مكنهما من اجتياز الأزمة المفاجئة بسلام ، ولم يتعرضوا لخطر

---

(١٩) الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

(٢٠) نويرى ، ج ٢١ ، ص ٢١٠ .

الأزارقة ، فنحن لانقرأ عن معارك دارت بين جيش المهلب والأزارقة منذ وفاة بشر بن مروان وحتى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق سنة ٧٥هـ(٢١) .

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه من أن معظم جيش المهلب بقى معه فى رامهرمز بعد وفاة بشر بن مروان ، ما يشير اليه ابن أعثم من أن المهلب كان معه فى رامهرز فى ذلك الوقت عشرة آلاف رجل وهو العدد الذى صحبه عند خروجه من البصرة ، وعندما وقف المهلب فى أصحابه خطيبا قال : « إن كنتم انما تقاتلون هذا العدو لبشر بن مروان فقد مات بشر ، وإن كنتم انما تقاتلون لله فاثبتوا على ماأنتم عليه ، فإن أمير المؤمنين حى ، والعراق لابد لها من أمير »(٢٢) .

ومن جانب اخر نلاحظ أن الأزارقة الذين كانوا يراقبون معسكر المهلب قد فرحوا لموت بشر ، وعودة أعداد كبيرة من جيش العراق إلى موطنهم ولكن الأزارقة فى نفس الوقت كانوا يعملون أن المهلب مازال فى معظم رجاله من الأزد ، وأنه يمكنه أن يتصدى لهم بقوة اذا فكروا فى استغلال الموقف لصالحهم ، ولما شاور قطرى بن الفجاءة زعيم الأزارقة أصحابه فيما يجب عمله فى هذه الظروف الجديدة ، كان الرأى السائد هو ماقاله عمرو القنا « أترك المهلب ما تركك ، وأرده ما

---

(٢١) راجع : طبرى ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٢ .
(٢٢) راجع : ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

أرادك »[٢٣] ولذلك لم يغامر الأزارقة بالهجوم على المهلب رغم قلة عدد قواته آنذاك . كما أن المهلب كان حريصا على أن يحشد اليه عبد الملك الجيوش في أسرع وقت ، ليتمكن من التصدى لأى هجوم من جانب الأزارقة ، فكاتبه بذلك ، وحذر من خطورة الحال مع قلة ما تحت قيادته من جند ، وخطر الأزارقة على البصرة[٢٤] .

---

(٢٣) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٢٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

بين آل المهلب والحجاج (٧٥-٨٢هـ)

كانت الأحداث التى وقعت عند رامهرمز فى أعقاب وفاة بشر بن مروان والتى سبق شرحها ، من أهم العوامل التى جعلت عبد الملك بن مروان يبحث عن رجل قوى يتولى شئون العراق ويقبض على زمام الأمور بيد من حديد ويعيد هيبة الخلافة بين المتمردين من أهل العراق والأزارقة الذين عاثوا فسادا فى أقاليم الدولة الشرقية ، فلما تولى الحجاج بن يوسف الثقفى أمر العراق سنة ٧٥هـ كان من أول مهامه ارسال البعوث الى المهلب ، ورد هؤلاء الذين تمردوا على قيادتهم ، وتركوا الحرب دون مبرر ، وجاء فى خطاب الحجاج المشهور الذى ألقاه فى الناس من على منبر الكوفة قوله: « .. قد بلغنى رفضكم المهلب ، وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين، وإنى اقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة الا ضربت عنقه، وأنهبت داره » (٢٥).

وأمر الحجاج العرفاء بحشد الرجال الى المهلب ، وأن يُفتح باب الجسر فى طريق فارس ليلا ونهارا ، ويروى الطبرى أنه عبر الجسر فى نهاية المهلة التى حددها الحجاج - وهى ثلاثة أيام - أعداد كبيرة من الناس ، بعد النداء الذى أطلقه الحجاج بأن من ظل فى الكوفة من جند المهلب بعد الموعد فقد أُحل دمه » فخرج الناس فازدحموا على الجسر، وخرجت العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة ، فقال

(٢٥) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢٠٤

المهلب : قدم العراق اليوم رجل ذكر [٢٦] اليوم قوتل العدو » [٢٧].

وأتبع الحجاج حملته العنيفة فى الكوفة بحملة مماثلة فى البصرة، وتوعد العصاه من جند المهلب ، وأمهلهم ثلاثة أيام ، فسارع العسكر للألتحاق بفرقهم وخرج الحجاج بنفسه متوجها الى ميدان الصراع مع الأزارقة ، حتى اقترب من معسكر المهلب فنزل فى« رستقباذ » على بعد ثمانية عشر فرسخا من رامهرمز وذلك فى شعبان سنة ٧٥هـ ، وقال حين نزل هذا المكان « ياأهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم ، هؤلاء الخوارج المطلين عليكم » [٢٨] .

وهكذا أعلن الحجاج الحرب التى لا هوادة فيها ضد الأزارقة مهما طال الزمن وحشد لها كل ما يستطيع حشده من الرجال ، « فاشتدت ظهور المسلمين ، وساء ذلك الخوارج، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف » [٢٩] وكتب الحجاج الى المهلب يقره على حرب الأزارقة ، ويعلن ثقته فيه وفى مقدرته على تولى هذه المهمة الخطيرة ، وحاجته اليه عن رغبة واقتناع ، وجاء فى كتابه « .. فان بشر بن مروان وجهك الى الحرب التى للأزارقة وكان

(٢٦) أبو هلال العسكرى ، الأوائل ، ج ٢ ، ص ٦٧ (الرياض ١٩٨١) .

(٢٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ٢١٢ .

(٢٨) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٢ .

(٢٩) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٠ ، ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٩٥ .

مستكرها لنفسه فيك ، وأنا أريدك لحاجتي إليك ، فأبشر وقر عينا ، اثبت على حرب القوم »[30]. كما اعترف الحجاج للمهلب

بشرطه الذى اشترطه على أهل البصرة قبل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥هـ بأن يكون له خراج ما غلب عليه من البلاد « فكانت الأموال تنتقل اليه من أرض فارس فى البدر مكتوب عليها : هذا ما أطعم الله المهلب بن أبي صفرة مما غلب عليه من بلاد الله ، يحمله الى قومه من الأزد لايعترض عليه معترض »[31] .

ونلاحظ فى هذه المرحلة من القتال مع الأزارقة أن قيادة الجيوش التى كانت فى رامهرمز لم تكن واحدة ـ رغم أوامر الحجاج للمهلب وإقراره على حرب الأزارقة ، فكان أهل البصرة يقودهم المهلب ، وأهل الكوفة يقودهم عبد الرحمن بن مخنف . وفى البداية نجحت هذه الجيوش فى إجلاء الأزارقة عن رامهرمز « من غير قتال شديد »[32] حسب رواية الطبرى ، والواضح من استقراء الأحداث هذه كانت سياسة الأزارقة عندما يشعرون بقوة جيوش الخلافة وخطورة المواجهة ، فتراجعوا الى سابور ، ونزلوا مدينة كارزون[33] لتنظيم صفوفهم فى تبعهم المهلب وعبد الرحمن بن مخنف وكان ذلك فى رمضان سنة ٧٥هـ ، وفى هذا

---

(٣٠) المبرد ، ص ٢٦٦ .

(٣١) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٤ .

(٣٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

(٣٣) كارزون مدينة بفارس بين البحر وشيراز (راجع معجم البلدان لياقوت) .

المكان دارت بين الجانبين معارك عنيفة قتل فيها أعداد كبيرة من الجانبين ، وقتل خلال ذلك عبد الرحمن بن مخنف وصمد المهلب برجاله في وجه الأزارقة [٣٤] .

ونتيجة لعدم توحد القيادة العسكرية في هذه المعركة ، فقد اختلفت الروايات حول أسباب هزيمة جيش ابن مخنف وقتله على يد الأزارقة : فأهل البصرة يذكرون رواية مفادها أن المهلب عندما واجه جيوش الأزارقة عند كارزون ، خندق على قواته وتحرّز من عدوه وكانت هذه عادته في التعامل مع الأزارقة في المعارك التي سبق الأشارة اليها . ونصح المهلب ابن مخنف أن يخندق هو الآخر ويتحرز على معسكره من مفاجآت الأزارقة فرفض أصحاب ابن مخنف مشورة المهلب وكأنهم أنفوا أن يأخذوا أوامرهم منه أو يعملوا تحت قيادته ، وقالوا : « نحن خندقنا سيوفنا » [٣٥] . فحذره المهلب من خطر أن يداهمه الأزارقة على حين غرة فلا يستطيع الثبات لهم ، ولكن صمم أصحاب ابن مخنف على رأيهم [٣٦] فلما بادر الأزارقة بالهجوم كان هدفهم في البداية معسكر المهلب ، فوجدوه قد أخذ الحيطة خنف ولم يستطيعوا اقتحام خندقه لمناعته ، فمالت الأزارقة الى معسكر ابن مخنف واشتبكوا معه في قتال عنيف ، فلما احتدم القتال « انهزم عنه أصحابه » [٣٧] فحلت الهزيمة بابن مخنف فقتل وقتل معظم الذين ثبتوا معه في

---

(٣٤) راجع التفاصيل ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٣٥) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ .

(٣٦) المبرد ، ص ٢٦٧ .

(٣٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٢ .

المعركة [٣٨] .

ولكن أهل الكوفة ـ وهم جيش ابن مخنف ـ يذكرون روايةأخرى تشير إلى أن المهلب قد اصطدم بالأزارقة فى بداية المعركة ، ولم يستطع الثبات لهم ، مما اضطره الى الأستنجاد بعبد الرحمن بن مخنف الذى أمده بالخيل والرجال ، فلما رأت الأزارقة ذلك ، أدركت أن معسكرابن مخنف قد خف رجاله ، فجعلوا بازاء المهلب من يشغله ، وانصرفوا بمعظم قواتهم الى معسكر ابن مخنف « وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا ثم إن الناس انكشفوا عنه » [٣٩] فقتل ابن مخنف وقتل معظم أصحابه .

ويبدو أن رواية أهل الكوفة كانت تبريرا لهزيمتهم فى هذه المعركة التى قتل فيها قائدهم ، وأرادوا إلقاء اللوم فى ذلك على المهلب بن أبى صفرة ، ففى كلا الروايتين ـ رواية أهل البصر وأهل الكوفة ـ تؤكد المصادرأن أهل الكوفة انكشفوا عن ابن مخنف ولم يصمدوا معه فى القتال . ويؤكد هذا الأمر ما سبق أن أشرنا اليه من تسارع أهل الكوفة الى الفرار والعودة إلى مصرهم فى أعقاب وفاة بشر بن مروان هربا من مواجهة الأزارقة بما يعرف عنهم من عنف وشراسة فى القتال.

وكيفما كان الأمر ، فان الخليفة عبد الملك بن مروان كان يدرك

(٣٨) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٢ .

(٣٩) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٢ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٩٨٩ .

حقيقة الموقف في ميدان المعركة ضد الأزارقة ، وأن اللائمة في هذه الهزيمة تقع على عاتق اهل الكوفة ، فلما وصله خبر مقتل عبد الرحمن ابن مخنف « نعى عبد الرحمن ، وذم أهل الكوفة » (٤٠).

بعث الحجاج بعتاب بن ورقاء خلفا لابن مخنف لقيادة أهل الكوفة ، وأراد أن يتفادى ما حدث لابن مخنف عندما لم يستمع الى مشورة المهلب أثناء قتال الأزارقة ، فكانت أوامر الحجاج الى عتاب واضحة ، بأنه إذا دارت المعارك فعليه أن يستمع الى المهلب ويطيع ، فساء ذلك عتاب ، ولكن لم يجد بدا من الإذعان والطاعة (٤١) ، ولعبت العصبية القبلية في هذه الظروف العصيبة بعقول القادة فعتاب كان حاقدا على المهلب ويأنف من العمل تحت قيادته مما أثار الخلافات بين الرجلين وكاد أن يحدث بينهما اشتباك في مجلس المهلب ، ورفع المهلب القضيب ليضرب عتاب لولا أن حجز بينهما المغيرة بن المهلب (٤٢) . وأدرك الحجاج متأخرا خطر وجود قائدين متنافسين في مواجهة الخوارج ، واستغل فرصة شكوى عتاب من المهلب فأمر عتابا بالعودة الى الكوفة ، فقام المهلب باسناد قيادة ما تحت امرة عتاب من جند الى ابنه حبيب (٤٣).

---

(٤٠) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ، الكامل ، نفسه .

(٤١) الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٩٠ ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٣ .

(٤٢) الكامل ، نفسه .

(٤٣) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

وهكذا توحدت قيادة الحرب ضد الأزارقة وأصبحت بيد آل المهلب وتمكن المهلب فى هذه المرحلة من الصراع أن يوجه ضربات عنيفة الى الأزارقة فى فارس وكرمان واستمر المهلب يناجزهم ثمانية عشر شهرادون حسم "[44]" ولكنه تمكن من تضييق موارادهم باستيلائه على معظم أقليم فارس وحجب ما كانوا يحصلون عليه من جباية هذا الأقليم الغنى "[45]" ، وخلال هذه الفترة كان الحجاج يتابع معارك المهلب وبنيه ضد الأزارقة ، ويحثه على الأسراع فى حسمها ، وظن أنه يطيل أمد الحرب حتى يجبى أكبر قدر من الأموال ، فأراد الحجاج أن يجبى خراج فارس عن طريق عمال من قبله ، وكان هذا التصرف يحرم المهلب من المورد الذى يعتمد عليه فى تمويل عسكره .

ومهما كان هدف الحجاج من هذا التصرف، فان المصادر التاريخية توضح أن عين الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترقب ما يجرى بين المهلب والحجاج من مناوشات ، وبداية ظهور التنافس بين الرجلين ، كما أدرك الخليفة خطورة أن يحُرم المهلب من أموال فارس ، وتأثير هذا على صمود عسكره فى مواجهة الأزارقة ، فكتب عبد الملك الى الحجاج سنة ٧٧هـ « أما بعد ، فدع بيد المهلب خراج فارس ، فانه لابد للجيش من قوة ، ولصاحب الجيش من معونة » "[46]".

---

(٤٤) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٤ .

(٤٥) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠١

(٤٦) طبرى ، نفسه .

ورغم استجابة الحجاج لأوامر الخليفة ، الا أن مشاعر الحجاج بدأت تتغير نحو المهلب ، وتحركت عوامل العصبية القبلية في نفسه، وكان يتمنى لوتولى أمر الخوارج رجل من القيسية ، فيحوز المال والثروة واحترام الخليفة وتقديره وتتضح هذه المشاعر بجلاء ،في وكتاب بعثه الحجاج الى المهلب بن أبي صفرة جاء فيه : « فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، واني وليتك وأنا أرى مكان «عبد الله بن حكيم المجاشعي »[٤٧] « وحسان ابن حصين الحبطي» [٤٨] واخترتك وأنت من أهل عمان ، ثم رجل من الأزد ..»[٤٩] ورد المهلب على الحجاج بأنه يتحين الفرص لتحقيق النصر النهائي على الأزارقة وأنه لن يتم له ذلك الا في ثلاثة أحوال : موت زعيم الأزارقة قطرى بن الفجاءة ، أو وقوع الفرقة والاختلاف فيما بينهم ، أو محاصرتهم حتى يقتلهم الجوع [٥٠] ولكن الحجاج لم يقتنع بهذه المبرارات التي ساقها المهلب وظل يطارده بكتبه ورسله لانهاء الحرب مع الأزارقة في أسرع وقت .

وفي رواية للطبري أن الحجاج أرسل في سنة ٧٧هـ البراء بن

(٤٧) المجاشعي منسوب الى مجاشع بطن من تميم وعامتهم بالبصرة (راجع : محمد بن أبي عثمان الحازمي ، النسب ، ص ١١ ، القاهرة ١٩٧٣) .

(٤٨) الحبتي أو الحبطي نسبة الى حبته بنت مالك بن عوف (راجع : محمد بن أحمد الذهبي ، المشتبه ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، القاهرة ١٩٦٢) .

(٤٩) المبرد ، ص ٣٦٨ .

(٥٠) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٤ .

قبيصة حاملا كتابا للمهلب يحثه فيه على مجاهدة الأزارقة ، ويحذره من « العلل والأباطيل » ، وأراد المهلب أن يرى رسول الحجاج كيف تكون المعارك مع الأزارقة « فأخرج المهلب بنية ، كل ابن فى كتيبة ، وأخرج الناس على راياتهم .. وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب حيث يراهم ، فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب ، والرجال على الرجال ، فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا ، فجاء البراء بن قبيصة الى المهلب فقال له : لا و الله ما رأيت كبنيك فرسانا قط ، ولا كفرسانك من العرب قط ، ولارأيت مثل قوم يقاتلونك قط فرجع المهلب بالناس ، حتى اذا كان عند العصر خرج اليهم وبنيه فى كتائبهم ، فقاتلوه كقتالهم فى أول مرة »[٥١] .

ونستنتج من هذا البيان العملى ليوم فعال ضد الأزارقة مدى ضراوة المعارك التى كان يخوضها آل المهلب ضدهم وقوة بأس عدوهم وصبرهم على القتال ، وعندما سأل المهلب مبعوث الحجاج عن تعليقه على ما شاهد قال : « رأيت قوما والله ما يعينك عليهم الا الله »[٥٢] فطلب المهلب من البراء أن ينقل على لسانه للحجاج «إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره »[٥٣] .

---

(٥١) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٢ .

(٥٢) المبرد ، ص ٢٧١ .

(٥٣) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

وقد شهدت هذه المرحلة أقوى المعارك بين آل المهلب من جهة وبين الأزارقة من جهة أخرى ، وبمتابعة سير هذه المعارك التى جاءت بتفاصيلها المصادر المختلفة يمكننا أن نلاحظ العبقرية العسكرية والشجاعة النادرة التى كان يتمتع بها المهلب وأسرته ورجاله الذين كانوا يقودون الفرق ، ويخوضون المعارك الجانبية تحت قيادته .

ظل المهلب يطارد الأزارقة ويطردهم من مدينة الى أخرى ومن موقع الى آخر مستعملا معهم أسلوب الهجوم المفاجىء أحيانا ، وتلقى الصدمة والدفع أحيانا أخرى ، والتريث وعدم الأشتباك ثالثة (٥٤) ،وكان المهلب ينصح أبناءه قائلا : « لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيبغوا عليكم ، فإنهم اذا بغوا نصرتم عليهم » (٥٥) ، وكان ينهاهم عن مطاردتهم اذا ولوا الأدبار منهزمين وقد نهى ابنه المغيرة عن مطاردتهم وهم جرحى « فان الكلب اذا جرحته عقر » (٥٦).

وكان آل المهلب يفخرون بانتمائهم الى الأزد ، وكانوا فى المواقف الخطيرة التى تحتاج الى تكاتف وتضحية يلجأون إلى قبيلتهم لتأكدهم من ولائهم وحسن بلائهم ، فعندما تصدى عطية بن الأسود فى فرسان الأزارقة فى احدى المعارك للمهلب ، أسند المهلب مهمة قتاله الى ابنه يزيد وقال له : « يابنى هذا عطية بن الأسود قد أقبل فى

---

(٥٤) راجع لتفاصيل المعارك : ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٣ ومابعدها ، المبرد ، ص ٢٧٢ ومابعدها .

(٥٥) المبرد ، ص ٢٧٧ .

(٥٦) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢١٣ .

فرسان الأزارقة، فأخرج اليه في إخوانك الذين تثق بهم من الإقدام على المكروه » فما كان من يزيد الا أن نادى « في فرسان الأزد فاجتمعوا اليه من كل أوب » [٥٧].

واستمرت المعارك في الفترة من سنة ٧٥هـ الى سنة ٧٧هـ ما يقرب من ثمانية عشر شهرا دون هوادة بين المهلب والأزارقة حتى وقع الأختلاف بين الأزارقة [٥٨] . في سنة ٧٧هـ لاحت احدى الفرص التى كان يترقبها المهلب لينهى صراعه الطويل مع الأزارقة ، فقد وقع الاختلاف بين صفوفهم وانقسموا على أنفسهم ، ولما بلغ المهلب ما حل بهم من الأختلاف قال لأصحابه : « أبشروا فهذا الذى كنت أرجوه من هؤلاء الخوارج وقد أذن الله فى هلاكهم وبوارهم » [٥٩].

وتذكر الروايات التاريخية فى سبب الاختلاف أن عاملا لقطرى ابن الفجاءة زعيم الأزارقة على كرمان يدعى « المقعطرالضبى » ، قتل رجلا ذا بأس من الأزارقة ، فوثبت الأزارقة الى قطرى وطلبوا منه أن يمكنهم من المقعطر ليقتلوه بصاحبهم ، فرفض ذلك ،ودافع عن المقعطر واعترف بالخطأ ولكنه لم يوافق على قتله [٦٠] وصمم كل فريق على موقفه فوقع الاختلاف بينهم ، فولى المعارضون عبد ربه الكبير قيادتهم وخلعوا قطريا ، ويقال أن قطريا قد بايعه عدد من الأزارقة يقدره

---

(٥٧) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٣٠ .

(٥٨) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٥ .

(٥٩) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٤١ .

(٦٠) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٥ .

الطبرى « نحوا من ربعهم أو خمسهم »[٦١] وانضم الباقون الى عبد ربه الكبير .

وبعض الروايات ترجع سبب الأختلاف بين الأزارقة الى مؤامرة دبرها المهلب بن أبى صفرة ضدهم ، فيقال ان رجلا حدادا من الأزارقة كان يصنع نصالا مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب ، فشكا أصحابه منها ، فوعدهم بالتخلص من هذا الشر، فوجه المهلب رجلا من أصحابه ومعه كتاب أمره أن يلقيه فى عسكر قطرى فى غفلة منهم ، ففعل ووقع الكتاب فى يد قطرى فاذا فيه : أما بعد فان نصالك وصلت ،وقد أنفذت اليك ألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال . فأحضر قطرى الصانع وواجهه بالكتاب والدراهم ، فأنكر ما جاء فيه ، فأمر قطرى بقتله ، فأنكر عليه عبد ربه الكبير وبعض أصحابه قتله فوقع الأختلاف بينهم[٦٢] .

ثم دس المهلب بين الأزارقة رجلا نصرانيا ،وأمره أن يسجدلقطرى أمام أصحابه ويقول له أنا سجدت لك ، ففعل النصرانى ، فاحتج الأزارقة على قطرى بأن الرجل عبده من دون الله ، وقتلوا النصرانى ، ولم ير قطرى مبررا لقتله فاختلفت الكلمة ووقع الشقاق[٦٣] .

ويبدو أن المهلب عندما علم بأمر الخلاف بين الأزارقة أراد تعميقه

---

(٦١) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٢ .

(٦٢) راجع التفاصيل : المبرد ، ص ٢٧٧ ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٥ .

(٦٣) المبرد ، ص ٢٧٨ .

بما دبره من المؤامرات السابق ذكرها ، وكيفما كان الأمر فان المهلب كان يرقب الموقف بين فرق الأزارقة المتنازعة بحذر شديد ، ولم يتسرع بالتدخل ضدهم رغم تنازعهم ، وعندما أرسل المهلب كتابا الى الحجاج يخبره بما يعانيه الأزارقة من فرقة ونشوب الحرب بين قطرى وعبد ربه الكبير ، كان رد الحجاج بعيدا عما يشغل ذهن المهلب في ذلك الوقت. فجاء فيه : « فإذا أتاك كتابى هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مئونتهم عليك أشد »[٦٤] ولكن المهلب كان يدرك أن تدخله فى هذا الوقت قد يكون سببا فى جمع شمل الأزارقة مرة أخرى ، وجاء فى رده على الحجاج ما يوضح سياسته فى هذه المرحلة فى قوله : « لست أرى أن أقاتلهم ماداموا يقتل بعضهم بعضا ، وينقص بعضهم عدد بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضا ، فأناهضهم حيئذ ، وهم أهون ما كانوا وأضعف شوكة »[٦٥].

وانتظر المهلب حتى انتهت الأشتباكات بين الأزارقة وتفرقت جموعهم ، فريق بزعامة قطرى بن الفجاءة وتقدر حشوده بحوالى عشرة آلاف[٦٦] اتجه بهم قطرى الى مدينة جيرفت احدى مدن كرمان.وفريق بزعامة عبد ربه الكبير وكان يقود سبعة آلاف ، وفريق ثالث بقيادة عبد

(٦٤) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .
(٦٥) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٦ .
(٦٦) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٤٥ .

ربه الصغير فى أربعة آلاف ، وكان كل فريق منهم يرغب فى حرب المهلب ليظهر أمام الناس صبره وجهاده وأنه أفضل من غيره [٦٧].

حاصر المهلب مدينة جيرفت وبها قطرى ورجاله حصارا شديدا وساءت الأحوال داخل المدينة المحاصرة حتى اضطر قطرى الى الخروج من الحصار ومواجهة مصيره فى صدام مع جيش المهلب ، ويبدو أن عبد ربه الصغير قد ساءه ما آل اليه حال قطرى فجاء لمساندته بأربعة آلاف من الأزارقة ، فأسند المهلب الى ابنه يزيد مهمة التصدى له وابعاده عن الاشتراك فى الحرب بجانب قطرى ، وتمكن يزيد من أن يفتك بعبد ربه الصغير ويقتله فى معظم أصحابه وظفر بعسكرهم وحوى مافيه [٦٨] وفى نفس الوقت استولى المهلب على مدينة جيرفت [٦٩] بعد أن انسحب منها قطرى دون قتال هاربا من الصدام مع المهلب حتى وصل مدينة الرى ومعه عبيد بن هلال ومن تبعه من الأزارقة ، وعند الرى افترقوا فتوجه قطرى الى ناحية طبرستان [٧٠] ومضى عبيد بن هلال فى نفر من أصحابه الى مدينة قومس [٧١].

أقام المهلب فى مدينة جيرفت وأرسل الى الحجاج بتطور المعارك

---

(٦٧) ابن أعثم ، نفسه ، ص ٤٢ .

(٦٨) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٦٩) المبرد ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٧٠) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ .

(٧١) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١١ ، وقومس كورة كبيرة واسعة ، بين الرى ونيسابور (راجع : مراصد الاطلاع ، ج ٣ ، ص ١١٣٤) .

مع الأزارقة وبأنه مقيم على حرب عبد ربه الكبير وطلب منه أن يوجه في أثر قطرى رجلا جلدا فى جيش [٧٢] للقضاء عليه .

وكانت المعركة الحاسمة في هذا الصراع المرير مع الأزارقة حول مدينة جيرفت . وقد حشد عبد ربه الكبير لهذه المعركة كل ما يستطيع حشده من الرجال وحمسهم على الأنتقام من المهلب الذى استولى على جيرفت واحتوى على غنائم أصحابهم وبنى أعمامهم . وكعادة المهلب فى صراعه الطويل مع الأزارقة ، كان يعرف كيف يتعامل معهم بأسلوب القائد المحنك الذى خبر عدوه وأدرك نواياه ، فما كاد يبلغه خبر قدوم الأزارقة الى جيرفت حتى أمر أصحابه بالرحيل عن المدينة ، وخرج منها كالمنهزم ، وأقبل عبد ربه فى الأزارقة وقد بلغه خروج المهلب فظن أنه قد انهزم بين يديه ودخل برجاله الى الكمين الذى أعده له المهلب وضرب الحصار على نفسه ، فما كاد عبد ربه يدخل جيرقت حتى عاد المهلب بكل حشوده فحصره داخلها ، ووضعه فى نفس الموقف الذى كان فيه قطرى منذ فترة قصيرة .

أمر المهلب أصحابه بعدم الأشتباك مع الأزارقة المحاصرين فى قتال .. واشتد الحصار على الأزارقة حتى اضطروا الى الخروج [٧٣] وعبأ المهلب أصحابه في كتائب ، وجعل على كل كتيبة رجلا من أولاده ، وقال لهم « إنما أقاتل لله ، وأنتم تقاتلون لله وعن أبيكم ، تذبون عن دين الله .. وليس أحد أولى بحربهم منكم فقاتلوا واصبروا واعلموا انكم

---

(٧٢) المبرد ، ص ٢٨٨ .

(٧٣) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٦ .

لاتملكون رقاب الناس ، وإنما تملكون طاعتهم » (٧٤).

دارت معركة عنيفة حول جيرفت اشتد فيها القتال حتى عُقرت الخيل وتكسر السلاح وقتل الفرسان ، وعندما أدرك عبد ربه النهاية نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه وتبعه أصحابه ، وجمع المهلب أولاده وأبطال قومه وحملوا عليهم وعظم الخطب حتى قال المهلب : « ما مر بى يوم مثل هذا (٧٥) » وأسفرت المعركة عن هزيمة مدمرة للأزارقة قتل فيها عبد ربه الكبير وقتل معه ما يقرب من أربعة آلاف من أصحابه حتى سالت دماؤهم الى وادى جيرفت فاحمر ماء الوادى (٧٦) ولم ينج من الأزارقة إلا القليل فولى بعضهم هاربين وأستأمن بعضهم المهلب فأمنهم.

ودخل المهلب مدينة جيرفت بعد النصر ، فاستولى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وسبوا لأنهم كانوا يسبون المسلمين (٧٧) وبعد هذه المعركة الفاصلة ، تم مطاردة قطرى بن الفجاءة حيث قتل فى نفس السنة (٧٧هـ) فى شعب من شعاب طبرستان ، كما قتل عبيدة بن هلال فى قصر تحصن به بقومس (٧٨) وانتهى بهذا خطر الأزارقة على الدولة الأموية بعد صراع عنيف قاد معظم مراحله آل المهلب .

(٧٤) راجع التفاصيل : ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٧٥) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٧ .

(٧٦) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٥٠ .

(٧٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ .

(٧٨) راجع التفاصيل : طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ وما بعدها ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٩ وما بعدها

أرسل المهلب الى الحجاج مبشرا بالنصر على الأزارقة، فلما دخل البشير مجلس الحجاج ، سأله عما كان عليه حالهم فى حرب الأزارقة، وطلب منه أن يخبره عن آل المهلب فقال له : « المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، ولا يستحى الشجاع أن يفر من مدرك ، وعبد الملك سم ناقع ، وحبيب موت زعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفاك بالمفضل نجدة ، قال الحجاج : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفها »[79] .

فاستحسن الحجاج ما قاله الرجل فى آل المهلب ، وكتب الى المهلب يشكره على جهوده ، ويعتذر اليه عما بدر منه أثناء المعارك من استبطائه فى حرب الأزارقة[80] وأمره أن يولى كرمان من يثق به من أبنائه ويقدم عليه فى أسرع وقت فى آل بيته وفرسانه ولا يتخلف منهم أحد فلما قدم المهلب على الحجاج أظهر اكرامه وبره و قال : « يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب »[81] ، وطلب منه أن يعرض عليه فرسانه الذين

---

(٧٩) المبرد ، ص ٢٩٤ ، المسعودى ، مروج ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٨٠) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٥٦ .
(٨١) نويرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٨ ، - وكانت البصرة يطلق عليها بصرة المهلب لأنه حمى المدينة من الخوارج ، وكان أهل الكوفة يقولون لأهل البصرة « يا موالى المهلب » لنفس السبب ولسيطرة آل المهلب ومكانتهم في البصرة ومن شعر الحسن بن هانىء فى البصرة :

ألا كل بصرى يرى انما العلى ... مكممة سحق لهن جرين
لأزد عمان بالمهلب نزوة ... اذا افتخر الأقوام لم تلين

(راجع : الهمدانى ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٢٢ ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٣٥١) .

خاضوا المعارك الطاحنة وأبلوا فى قتال الأزارقة ، وأن يصف له بلاءهم ، وكان كتاب الحجاج يسجلون له ما يقوله المهلب عن رجاله. ثم أقام الحجاج مجلسا خاصا للأحتفال بهذه المناسبة ، وكان ينادى على القواد والفرسان حسب مراتبهم وكان في مقدمتهم بنو المهلب : المغيرة ويزيد ومدرك وقبيصة وحبيب والمفضل وعبد الملك ومحمد .وقال المهلب للحجاج : انه والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ، ولولا أن أظلمهم لأخرتهم . قال الحجاج : صدقت ، وما أنت بأعلم بهم منى ، وإن حضرت وغبت أنهم لسيوف من سيوف الله (٨٢) . فأخذ الحجاج لايذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن الا صدقه بذلك ، فأكرمهم وأحسن العطاء لهم وزاد فيه ثم قال : هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالأموال ، هؤلاء أصحاب الثغور وغيظ الأعداء (٨٣) ».

---

(٨٢) المبرد ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٨٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣١٩ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .

الفصل الرابع

ولاية المهلب علي خراسان حتي وفاته (٨٢هـ)

الفصل الرابع

ولاية المهلب علي خراسان حتي وفاته (٨٢هـ)

كانت ولاية خراسان هى الجائزة التى حصل عليها المهلب بن أبى صفرة تقديرا لجهوده وبلائه فى القضاء على الأزارقة ، ففى سنة ٧٨هـ عزل عبد الملك بن مروان ،أمية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وكان مستقلا فى ولايته عن الحجاج ، وضمهما الى أعمال الحجاج [1] فأسند الحجاج ولاية خراسان الى المهلب . ويبدو أن المهلب كان حريصا على البقاء فى البصرة للراحة بعد العناء الذى بذله فى قتال الأزارقة ، فبعث ابنه حبيبا نائبا عنه الى خراسان ، فوافق الحجاج وقام بوداع حبيب بنفسه ووصله بعشرة آلاف درهم ، وظل حبيب مقيما فى خراسان مدة عشرة أشهر حتى لحق به المهلب فى سنة ٧٩هـ [2].

ويبدو من رواية للطبرى أن الحجاج كان مازال يحمل فى نفسه غيرة وحقدًا على ما وصل اليه آل المهلب من الرفعة وعلو الشأن ، فرغم مظاهر الأحتفال والتكريم التى أقامها الحجاج لآل المهلب ورجاله

(١) الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .

(٢) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٦٨ .

إلا أنه « أخذ المهلب بألف ألف درهم من خراج الأهواز ، وكان ولاها اياه خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة : إن خالدا ولانى الأهواز وولاك اصطخر ، وقد أخذنى الحجاج بألف ألف درهم فنصف على ونصف عليك » [٣]. والعجيب فى الأمر أن هذا القائد العظيم رغم فتوحاته وانتصاراته وما حصل عليه من مغانم وما جباه من أموال ،لم يكن يملك مثل هذا المبلغ حتى يسدده للحجاج ، مما يؤكد ما كان يتسم به آل المهلب بوجه عام من سخاء واغداق الأموال على رجالهم ،واضطر المهلب للوفاء بما عليه الى الأقتراض وبلغ به الحال أن باعت امرأته « خيرة القشيرية » حليا لها ومتاعا للوفاء بما عليه [٤].

ونلاحظ أن المهلب فى فترة ولايته على خراسان (٨٧ - ٨٢هـ) لم يركن الى الدعة والراحة ، واستمر فى نشاطه العسكرى ، وظل مع بنيه يقاتلون فى هذه الجبهة قتالا مستمرا ضد أعداء الإسلام ، ويعملون لاخضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية « فخيل له بسمرقند وأخرى ببخارى ، وأخرى بطخارستان .. وكلما فتح فتحا أخرج من ذلك الخمس فوجه به الى الحجاج ، وقسم باقى الفىء فى أصحابه ، وفرح أهل خراسان بولاية المهلب عليهم فرحا شديدا » [٥] لما حازوه من شرف الجهاد فى سبيل الله ، وما حصلوا عليه من الغنائم .

---

(٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٢٠ .

(٤) نفسه ص ٣٢١ .

(٥) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٥٨ .

بدأت حركة المهلب بن أبى صفرة للغزو والجهاد بعد وصوله خراسان فى سنة ٨٠هـ عندما تحرك برجاله شرقا ، وقطع نهر بلخ ، ونزل على كش (وهى قرية من قرى جرجان) [٦] وهناك وفد عليه ابن عم ملك الختل [٧] الذى كان على خلاف مع الملك وحرض المهلب على فتح هذه البلاد ، فوجه معه المهلب ابنه يزيد ، وتم حصار الختل والاستيلاء عليها ، وانسحب يزيد عنها بعد أن صالح أهلها على فدية حملت اليه [٨] كما وجه المهلب ابنه حبيبا الى بخارى فى جيش كبير يقدر بحوالى أربعين ألف رجل ، وأوقع الهزائم بأهل بخارى ، وأخضعهم ورجع حبيب الى أبيه فى مدينة كش [٩] وكان المهلب قد اتخذها مقرا له لتحريك قواته فى الفتوحات المختلفة ، وأقام المهلب بكش يضبط الأمور ويجبى الخراج ولم يستجب الى الآراء المتهورة التى كان أصحابها يطمعون فى الغزو من أجل المزيد من الأموال ، فعندما قيل له: لو تقدمت الى الصغد وما وراء ذلك . قال : ليت حظى من هذه الغزوة سلامة هذه الجند وعودتهم الى مرو سالمين » [١٠].

وتظهر براعة المهلب الساسية فى احتفاظه بعلاقات قوية مع الخليفة الأموى فى دمشق ، والتعامل بحذر مع الحجاج الذى كان

---

(٦) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٠١ .

(٧) الختل : كورة فيما وراء النهر (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٨) الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ .

(٩) النويرى ، نفسه .

(١٠) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

يضمر في نفسه الكثير ضد آل المهلب ، لذلك كانت سياسة المهلب في خراسان تتسم بالحذر من العناصر القبلية المناوئة من عرب الشمال على وجه التحديد ، ورغم انتمائه الى عرب الجنوب فلم يترك لنفسه العنان في الأنسياق وراء التعصب القبلي ، بل كان يسعى إلى إقامة توازن في العلاقات بين القبائل حتى لاتثور فتنة تؤدى إلى إفشال مشاريعه الحربية، وفي نفس الوقت كان على حذر من المضرية ولا يأمن جانبهم ، ويبدو هذا عندما أقبل عليه جماعة من مضر وهو بكش، فقبض عليهم وحبسهم ، ورغم أن المصادر لم تذكر سببا لهذا التصرف، فمن المحتمل أنهم كانوا يمثلون خطرا على وحدة جيشه في ذلك الوقت وهو يواجه العدو في حروب متصلة ، فقد ثارت بعض المنازعات بين بطون من بني تميم طلبا للثأر (١١) . وعندما زال الخطر ، وعاد المهلب الى مرو عاصمة خراسان ، لم يجد سببا لإبقاء هؤلاء في حبسه فأطلق سراحهم (١٢)، ويؤيد هذا الأحتمال ، أن الحجاج كتب الى المهلب بشأن هؤلاء المضرية قائلا : « إن كنت أصبت بحسبهم فقد أخطأت بإطلاقهم، وإن كنت أصبت بإطلاقهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم ، فكتب المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت خليتهم » (١٣) .

ولعل عدم توتر العلاقات بين المهلب والحجاج بصورة سافرة ترجع

---

(١١) راجع التفاصيل : النويري ، ج ٢١ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .

(١٢) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٢٦

(١٣) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٥٤

الى أن المهلب بالأضافة الى حسن سياسته ، لم يكن فى طبعه الغدر ونكث العهود ، فى الوقت الذى عرف فيه عن الحجاج القسوة والعنف فى علاقته مع الخاصة والعامة على السواء ، وحادثة ثورة عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث فى سنة ٨١هـ تلقى الضوء على بعض جوانب شخصية الرجلين : أعنى المهلب والحجاج .

فثورة ابن الأشعث فى جوهرها تمرد من جانب قائدها ورجاله ضد قسوة الحجاج وصلفه وغروره ، ورغبة فى الإنتقام منه ، وبدأت بتدخل الحجاج فى الحرب التى كان يقودها ابن الأشعث ضد رتبيل أحد ملوك الترك والذى سبق له أن أوقع الهزائم المتكررة بجيوش المسلمين، وكان رأى ابن الأشعث ـ بعد أن حقق بعض الأنتصارات على رتبيل واستولى على أجزاء من بلاده ـ عدم التوغل فى بلاد الترك خوفا من الوقوع فى الكمائن «حتى يعرفوا طرقها ويجبوا خراجها » [١٤] ولكن الحجاج اتبع مع ابن الأشعث نفس الطريقة التى سبق له أن نفذها مع المهلب فى حربه ضد الأزارقة ، فطارد ابن الأشعث بسلسلة من الكتب العنيفة التى تتهمه بالجبن وحب الموادعة والرغبة فى جباية الأموال ، وأمره بمواصلة القتال ضد الترك أو التخلى عن الأمارة لأخيه اسحق[١٥] ، وكان رد فعل ابن الأشعث حاسما اذ أعلن الثورة على الحجاج والدولة الأموية واستجاب له الأجناد ومعظمهم من أهل البصرة والكوفة نكاية فى الحجاج لبغضهم له وخوفهم من سطوته [١٦] .

---

(١٤) راجع لتفاصيل ثورة ابن الأشعث وحروبه مع الترك : النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٢٣ ومابعدها .

(١٥) النويرى ، نفسه ، ص ٢٢٥ .

(١٦) المسعودى ، التنبيه والأشراف ، ص ٢٨٧ .

وفى هذا الوقت حاول ابن الأشعث أن يستميل اليه المهلب بن أبي صفرة والى خراسان ، ولكن المهلب رفض الاستجابة للفتنة ، وكتب الى ابن الأشعث كتابا يوضح سياسته ومنهجه فى التعامل مع السلطة الشرعية وجاء فى كتابه « أما بعد ، فانك وضعت رجلك يا ابن محمد فى غرز طويل الغى على أمة محمد ﷺ . الله الله فانظر لنفسك لاتهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها .. » (١٧) .

وواضح من النص السابق التزام المهلب بالوفاء وعدم نكث العهود ، والبعد عن الفتنة وما تجر اليه من ويلات وسفك لدماء المسلمين، ولم يكتف المهلب بنصح ابن الأشعث ، بل أرسل كتابا الى الحجاج يحذره من خطر الفتنة الداهمة التى ستهب عليه ، وينصحه أن يتخذ موقف الدفاع ضد ثورة ابن الأشعث ولا يخرج للقائه ، وحلل له طبيعة أهل العراق فى الحرب فقد خبرهم طويلا وقال فى كتابه للحجاج « إن لأهل العراق شَرَّة فى أول مخرجهم ، وصبابة الى أبنائهم ونسائهم ، فليس شىء يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشموا أولادهم ثم واقفهم عندها ، فان الله ناصرك عليهم ان شاء الله » (١٨).

لم يأخذ الحجاج بنصيحة المهلب وتجهز للقاء جيش ابن الأشعث الزاحف على العراق وخرج الحجاج من البصرة حتى وصل

(١٧) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٣٨ .

(١٨) نفسه ، ص ٣٣٩ ، ابن خلدون ، م ٣ ، ص ١٠٧ .

« تستر » (مدينة بخوزستان) وهناك اصطدم مع ابن الأشعث في معركة عنيفة في يوم الأضحى سنة ٨١هـ ، فانهزم أصحاب الحجاج وقتل منهم جمع كثير، واضطر الحجاج الى الأنسحاب بفلوله الى البصرة ، وابن الأشعث يطارده [١٩] . وهنا أدرك الحجاج قيمة النصيحة التي أسداها له المهلب ،فلما وصل البصرة ، طلب كتاب المهلب وأعاد قراءته وتفحص فحواه ثم قال لمن حوله : « لله أبوه ، أي صاحب حرب هو . أشار علينا بالرأى ولكنا لم نقبل » [٢٠].

ونكب المهلب في رجب سنة ٨٢هـ بوفاة ابنه المغيرة ، فحزن عليه حزنا شديدا ، وكان المغيرة نائبا عن أبيه في مرو ، فلما بلغه خبر وفاته وهو مقيم بكش أرسل ابنه يزيد الى مرو ليتولى مراسم دفن أخيه، وجعل يوصيه بما يفعل ودموعه تنحدر على لحيته[٢١] ، وبعد أن نظم الأوضاع في كش ، تركها متوجها الى مرو وفي طريقه أصيب المهلب بمرض شعر معه بدنو أجله ، فجمع أولاد ، وأعلن استخلافه لابنه يزيد عليهم ، وأمرهم بعدم مخالفته ،فقال له ابنه المفضل : لو لم تقدمه لقدمناه [٢٢] ، وأحضر سهاما فحزمت ، وقال : اتكسرونها مجتمعه ؟

---

(١٩) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٣٦ .

(٢٠) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٤٠ .

(٢١) نفسه ص ٣٥١ . ورثا الشعراء المغيرة ومنهم أبو أمامة زياد الأعجم الذى جاء في قصيدته :

تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا ... والباكيات برنة وتصايح

كان المهلب بالمغيرة كالذى ... ألقى الدلاء الى قليب المائح

(راجع : وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٥٤) .

(٢٢) الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٧٥ .

قالوا : لا قال : افتكسرونها متفرقة ؟ قالوا : نعم ، قال : فهكذا الجماعة .

وأوصى المهلب أبناءه قبيل وفاته وصية أوردتها معظم مصادر التاريخ ولأهمية هذه الوصية كأحد الوثائق التى تكشف عن شخصيةزعيم آل المهلب ، والسياسة التى اعتنقها فى حياته والتى يرغب من أبنائه أن يسلكوا سبيلها من بعده ، فقد أوردنا نص الطبرى لهذه الوصية : « فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فإن صلة الرحم تنسىء فى الأجل ، وتثرى المال ، وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة ، فإن القطعية تعقب النار ، وتورث الذلة والقلة ، فتحابوا وتواصوا ، واجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، .. وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ،.. واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فان الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك . اعرفوا لمن يغشاكم حقه،وآثروا الجود على البخل ، عليكم فى الحرب بالأناة والمكيدة ، فانها أنفع فى الحرب من الشجاعة . عليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن وأدب الصالحين ، وإياكم والخفة وكثرة الكلام فى مجالسكم ، وقداستخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيد » [٢٣] وتوفى المهلب بمرو الروز ، ودفن فيها ، وصلى عليه ابنه حبيب وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ٨٢هـ [٢٤] .

---

(٢٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٥٤ .

(٢٤) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٨٩ ، فرثاه الشاعر نهار بن توسعة التميمى بقصيدة مطلعها :

لا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب

الفصل الخامس

آل المهلب تحت قيادة يزيد بن المهلب حتي وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ)

الفصل الخامس

آل المهلب تحت قيادة يزيد بن المهلب حتي وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ)

بعد وفاة المهلب ، كتب ابنه يزيد الى الحجاج يعلمه بوفاته ، فأقره الحجاج على خراسان مكان أبيه[١] ، وكان المهلب قد قال لمن حضره من أولاده قبيل وفاته ـ كما ذكرنا ـ قد استخلفت عليكم يزيداً فلا تخالفوه ، واعتقد أن هذا الإستخلاف لا يعنى استخلافا على خراسان فقط ، فهذا يتوقف على موافقة الخليفة والحجاج ، بل هو استخلاف على آل المهلب ، فأصبح يزيد بهذا الإستخلاف كبير آل المهلب وشيخهم ، ولذلك لا أميل الى الأخذ برواية للطبرى ـ بدون سند على غير عادته – يقول فيها : « ويقال : أنه قال عند موته ووصيته (يقصد المهلب) : لو كان الأم مر إلىّ لوليت سيد ولدى حبيبا »[٢].

ولنا أن نتساءل : هل كان المهلب في استخلافه لابنه يزيد مكرها؟ واذا لم يكن الأمر اليه فى هذا الأختيار . فلمن كان إذن ؟ ولاشك أن هذه الرواية ـ أن صحت ـ تتناقض مع وصية المهلب لأبنائه عن أهمية الجماعة وعدم الاختلاف وأن يطيعوا يزيداً ، فما كان المهلب يبذر بذور الشقاق بين أبنائه قبيل وفاته بمثل هذه العبارة.

---

(١) راجع : الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ .

(٢) طبرى ، نفسه .

وفى سنة ٨٣هـ كان الحجاج بن يوسف الثقفى مازال على حرب ابن الأشعث ، وكانت أهم المعارك التى خاضها فى هذه السنة معركة« دير الجماجم » المشهورة بالقرب من الكوفة ، والتى انكسر فيها جيش ابن الأشعث وتشتت شمل اصحابه[٣] ويهمنا من أمر هذه المعركة أن فريقا من جيش ابن الأشعث بعد أن انتهى بهم المطاف الى سجستان ، طلبوا من قائدهم أن يتركوا سجستان ويتوجهوا بجيوشهم الى خراسان وعليها يزيد بن المهلب ليستولوا عليها ويتقووا بها . ولكن ابن الأشع حذرهم من هذه المغامرة و قال لهم : « على خراسان يزيد بن المهلب ، وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه ، ولو دخلنا ها لوقعنا بين أهل خراسان وأهل الشام » [٤] ، ولكن أصحابه لم يستجيبوا له ، وكانوا يأملون أنهم اذ ا هاجموا خراسان سيجدون تأييد ا من أهلها ، وأنها خير مستقر لهم بعيدا عن تهديد الحجاج والدولة الأموية [٥] .

استجاب ابن الأشعث لرغبة أصحابه بعد الحاح ، وسار بهم فى اتجاه خراسان وعندما وصلوا مدينة « هراة » حدث اضطراب فى صفوف قواته أظهر اختلافها فيما بينها وانسحب جزء من جيشه بقيادة عبيد الله بن عبد الرحمن في ألفين ، مما أغضب ابن الأشعث ، فترك قيادة

راجع التفاصيل : النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٣٩ وما بعدها .

(٤) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٠ .

(٥) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٠ .

أصحابه وانسحب بخاصته من المعركة [٦].

تجمع من بقى من جيش ابن الأشعث فى هراة بقيادة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة فى حوالى عشرين ألفا ، وبلغ خبرهذا الحشد يزيد بن المهلب فى خراسان ، وما فعلوه بنائبه على هراة « الرقاد ابن عبيد » عندما أراد التصدى لهم فقتلوه . فأرسل يزيد تحذيرا إلى عبد الرحمن جاء فيه : « قد كان لك فى البلاد متسع ، ومن هو أقل منى حداً وأهون شوكة ، فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان ، فإنى اكره قتالك ، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعنتك به » [٧] .

وتعلل عبد الرحمن بن العباس ليزيد بأنه ما نزل هذه البلاد لحرب أو مقام ، ولكن للراحة ثم الرحيل ، وكان يزيد يراقب ما يجرى فى هراة بحذر كعادة آل المهلب فى حروبهم ، فبلغه أن عبد الرحمن أقبل على جباية ما تحت يده ، فأدرك يزيد أن من أراد أن يريح ثم يرحل لم يجب الخراج [٨] فتحرك يزيد برجاله فى اتجاه هراة وولى على الحرب أخاه المفضل ، واستخلف على مرو عاصمة خراسان خاله جديع بن يزيد ، وعندما وصل هراة ، بعث تحذير ا ثانيا الى عبد الرحمن بن

(٦) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٠ . ويقال ان ابن الأشعث عند انسحابه عاد للأقامة مع رتبيل ملك الترك الذى كان قد توطدت بينهما الصداقة منذ رفض ابن الأشعث الدخول فى حرب ضد رتبيل ، ووجه جيوشه لقتال الحجاج (راجع : الطبرى ، ج ٦ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، المسعودى ، التنبيه والأشراف ، ص ٢٨٧) .

(٧) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥١ .

(٨) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧١ .

العباس جاء فيه : « انك قد أرحت وسمت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة ، فاخرج عنى فانى أكره قتالك »[9] . ولكن عبد الرحمن ابن العباس لم يستجب لنداء المسالمة ، وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه ، فاخبروا يزيد بذلك ، فعلم أنه لافائدة من العتاب والتحذير ، وأمر أخاه المفضل بالأشتباك ، ودارت معركة قصيرة انهزم فيها جيش عبد الرحمن وفر معظم أصحابه من ميدان المعركة ، فأمر يزيد بن المهلب بالكف عنهم وعدم مطاردتهم ،ووقع منهم عدد كبير فى الأسر، وكان من بين الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص الذى قال ليزيد عندما مثل بين يديه : أسالك بدعوة أبى لأبيك ، فخلى يزيد سبيله[10] .

وتروى المصادر التاريخية أن حبيب بن المهلب حرّض أخاه على عدم ارسال الأسرى فى هذه المعركة من أهل اليمن إلى الحجاج ، لأن الحجاج سيضرب أعناقهم، وقال له : بأى وجه تنظر الى اليمنية اذا فعلت ذلك ، ورغم أن يزيد كان يعلم خطورة التعرض للحجاج فى مثل هذا الأمر ، إلا أنه خضع لرأى حبيب وأنف أن يرد أسرى اليمانية الى الحجاج ، وأما المضرية فشدهم فى الحديد ووجههم الى الحجاج[11] .

---

(٩) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٢

(١٠) وكان سعد بن وقاص عندما بلغه حسن بلاء المهلب فى معارك خراسان فى عهد معاوية قال : اللهم لا تره ذلا لهما ، وأكثر ماله وولده ، ويقال أن ما نال المهلب من خير كان بسبب هذه الدعوة . (راجع : المعارف ، ص ٢٤٢ ، الأنساب ، ص ١٢٨ – ١٢٩) .

(١١) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٣ .

ويروى الطبرى أن الحجاج عندما جاءه الأسرى من عند يزيد ابن المهلب ، حاكمهم فى مجلسه ، واحدا بعد الآخر ، وكان بعد المحاكمة يأمر بضرب عنق الأسير « ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قدم بين يديه قال : لا رأت عيناك ياحجاج الجنة إن أفلت ابن المهلب بما صنع . قال وماصنع ؟ قال:

لانه كاس فى اطلاق أسرته وقاد نحوك فى أغلالها مضرا

وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج مليا ، ووقرت فى قلبه ، وقال : ماأنت وذاك . وأمر بضرب عنقه ، ولم تزل فى نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه »(١٢).

---

(١٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ ، وقارن : النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٤ .

عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥هـ

بعد أن فرغ الحجاج من ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨٥هـ ، بدأ يرتب للقضاء على يزيد بن المهلب وعزله عن خراسان ، وأصبح لاهم له الا يزيد وأهل بيته ، « وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم الا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصرين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب »[١٣]. ويبدو أن الحجاج كان يرى فى يزيد بن المهلب ، أكبر منافس له لدى الخلافة الأموية فى دمشق ، وأنه يمكنه أن يحل مكانه ويتولى ما تحت يده من أعمال ، وحسب رواية ابن خلكان أن «الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه أن يترتب مكانه، فكان يقصده بالمكروه كل وقت كى لا يثب عليه »[١٤] . ولما كان أهم ما يشغل بال الحجاج فى ذلك الوقت هو يزيد بن المهلب ، فكان الحجاج كثيرا ما يسأل المنجمين عمن يكون مكانه ، فيقولون رجل اسمه يزيد ، فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد بن المهلب[١٥].

ورغم ما كان يتمتع به الحجاج من مكانة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان الذى أطلق يده فى شئون العراق والمشرق ، الا أنه كان

(١٣) الطبرى ، ج٦ ، ص ٣٩٧

(١٤) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٧٨ .

(١٥) نفسه ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٦٤ .

يشعربأن يزيد بن المهلب يحظى باحترام وتقدير البلاط الأموى في دمشق وأراد الحجاج أن يختبر مكانته لدى عبد الملك فطلب منه أن يعفيه مما تحت يده من ولايات ، فأدرك عبد الملك هدفه ، ولم يجبه الى طلبه [١٦].

وتذكر الروايات التاريخية أن الحجاج كان يبحث عن سبب لاقناع عبد الملك بن مروان بعزل يزيد عن خراسان ، فأكثر من الكتابة الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويتهمهم بأنهم زبيرية [١٧] ، ومع علم عبد الملك بأن هذه تهمة لاقيمة لها الآن بعدما حققه آل المهلب من انتصارات ضد أعداء الدولة الأموية ، الا أن الحاح الحجاج دفع الخليفة الى أن يكتب اليه : « قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسم لى رجلا يصلح لخراسان ، فسمى له مجاعة بن سعد السعدى ، فكتب اليه عبد الملك : إن رأيك الذى دعاك الى استفساد آل المهلب ، هو الذى دعاك إلى اختيار مجاعة ، فانظر لى رجلا حازما ماضيا لأمرك ، فسمى له قتيبة ابن مسلم ، فكتب اليه : وله » [١٨].

ونستنتج مما سبق أن عبد الملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقده على يزيد وآل المهلب ، وأنه كان يرمى الى « استفساد آل المهلب »ورغم ذلك فقد استجاب الخليفة لطلب الحجاج وعزل يزيد

---

(١٦) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

(١٧) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٩٥ .

(١٨) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

عن خراسان بقتيبة بن مسلم في ربيع الآخر سنة ٨٥هـ ، وكان هذا في اعتقادي منعالاحتمالات الفتنة والصدام بين يزيد والحجاج مما يتذر بسوء العاقبة، وكان الحجاج حريصا في نفس الوقت أن يتم عزل يزيد عن خراسان وقدومه الى العراق بطريقة لاتثير مشاعره ، ولا تدفعه الي الثورةوالتمرد ، فلم يكتب الحجاج اليه بالعزل بل كتب له باستخلاف أخيه المفضل وأن يقبل عليه بالعراق [١٩].

وكان يزيد بن المهلب على علم بما يدبره له الحجاج ، ورغم نصيحة مستشاريه له بأن يتريث في الخروج الى العراق على أمل أن الخليفة عبد الملك يعدل عن عزله ، الا أن يزيد كان محافظا على التقاليد التي بثها فيه والده المهلب ، وقال لمن حوله : « انا أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف » [٢٠].

وهناك راوية تشير الى أن يزيد في أواخر أيامه في خراسان تغير على بني عمه وغيرهم من أجناد خراسان ، فجعل يبغضهم ولا ينفذ فيهم وصية أبيه حتى أبغضه أهل خراسان وكاتبوا الحجاج [٢١]، وأنا لاأميل الى هذه الرواية لتبرير عزل يزيد ، فالحجاج ما كان يشغله علاقة يزيد بأهل خراسان ورأيهم فيه ، بقدر ما كان يشغله أمور أخرى سبق ايضاحها ، ومما يدحض هذه الرواية ، ما ترويه معظم المصادر أنه عندما خرج يزيد من خراسان الى العراق صادف ترحيبا كبيرا في كل مكان

---

(١٩) الطبري ، نفسه .

(٢٠) نفسه .

(٢١) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٤٥ ومابعدها .

« فلم يمر ببلد الا فرشوا له الرياحين »[22].

حبس الحجاج يزيد بن المهلب ومعظم أفراد أسرته وأخذهم بسوء العذاب وأغرمهم ستة ملايين درهم[23]، وظل يزيد فى سجن الحجاج حتى سنة ٩٠هـ حيث تمكن يزيد ومن معه من إخوته من الهرب من قبضة الحجاج . وتفاصيل ذلك أن الحجاج كان قد خرج لحرب الأكرادالذين غلبوا على فارس ، وأخرج معه يزيد ابن المهلب وأخوته ، فجعلهم فى عسكره ، وجعل عليهم مثل الخندق ووضع عليهم حرسا من أهل الشام[24] ، وواضح من هذا التصرف من جانب الحجاج ، أنه كان يدرك خطر يزيد وآل المهلب رغم وجودهم فى قبضته ، فكان يخشى هربهم ولم يأمن أن يتركهم ويخرج للغزو مما قد يعطى بعض العناصر المؤيدة لآل المهلب من التدخل لاطلاق سراحهم .

وكان يزيد رغم وجوده فى الحبس على اتصال بأسرته فى البصرة، فبعث الى أخيه مروان بن المهلب يخبره بعزمه على الهرب ، ويطلب منه أن يعد خيولا قوية تحسبا لوقت قد يستطيع فيه الإفلات من قبضة الحجاج[25] ، ويفهم من الروايات التى بين أيدينا أن الحجاج فى هذه

---

(٢٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٩٦ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٦٥ .

(٢٣) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢٤) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٨٨ ، نويرى ، ج ٢١ ، ص ٣١٦ .

(٢٥) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٥٥ .

الفترة كان قد كف عن تعذيبهم ، واكتفى بأن يستصفى أملاكهم ويخرج منهم ما يستطيع اخراجه من أموال ، تسديدا لما أخذهم به ، وكان قد غرّمهم سته ملايين درهم - كما ذكرنا - ويبدو أن يزيد كان يعامل معاملة خاصة آنذاك ، وكان ينفق عن سعة وهو فى الحبس « وكان له طباخ وموائد منصوبة حتى استمال قلوب الحراس »(٢٦)، ولذلك كان يمكن ليزيد أن يدبر خدعة يهرب بها من حبسه ، وأمر يزيد أن يصنع طعام كثير للحرس وأن يقدم لهم الشراب ، واستغل انشغالهم فتنكر فى ثياب طباخه ، ووضع لحية بيضاء وتسلل من بين الحراس ليلا وتبعه أخواه المفضل وعبد الملك (٢٧) ، ومن المحتمل أن يزيد قد دبر هذا الأمر بالأتفاق مع بعض الحراس الذين غمرهم بكرمه ، وأعطى السجان ألف درهم لتسهيل مهمة هربه (٢٨).

لما وصل الخبر الى الحجاج بهرب يزيد وأخوته ظن أنهم سيتجهون الى خراسان ويجمعون أنصارهم ، ويثيرون فتنة ضده ، فأرسل إلى واليها قتيبة بن مسلم يأمره بالحذر والاحتياط ، فكان الحجاج يخشى أن يحدث له من يزيد مثل ما فعل ابن الأشعث (٢٩) ولكن يزيد ومن معه من آل المهلب ، كانوا يفكرون فى اتجاه آخر ،

---

(٢٦) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣١٧ .

(٢٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢٨) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٥٤ .

(٢٨) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٤٩ .

حيث أخذوا طريقهم الى فلسطين ونزلوا على أحد أفراد قبيلتهم وهو يزيد بن عبد الرحمن الأزدى الذى توسط ليزيد بن المهلب لدى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان مقيما فى فلسطين فى ذلك الوقت ، فأمنهمَ سليمان ، وكان لابد أن يحصل لهم على الأمان من أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ) فكتب اليه بذلك ، وطلب منه الخليفة أن يمثل يزيد وأخوته أولا بين يديه قبل الأمان ، ولما خاف عليهم سليمان من بطش الخليفة أخبره أنه سيحضر بهم بنفسه ، ولكن الوليد أقسم أنه لن يعطيهم الأمان الا اذا حضروا بدونه ومقيدين [٣٠].

ويظهر أن سليمان بن عبد الملك لم ينس بلاء آل المهلب وشهرتهم التى ذاعت فى الآفاق وجهادهم وولاءهم للدولة الأموية ، لذلك أرسل مع يزيد وأخوته ابنه أيوب ، وطلب منه أن يدخل الى الوليد وهو مقيد فى قيد واحد مع يزيد بن المهلب ، ووجه سليمان كتابا الى أخيه يبرر فيه أسباب إجارته ليزيد جاء فيه : « انما أجرت يزيد بن المهلب لأنه وأباه وأخوته من صنائعنا قديما وحديثا ، فلم أجر الا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته » [٣١] وتعهد سليمان بأن يرد عن يزيد كل ما يطلب منه من أموال [٣٢]. فأمّن الوليد

(٣٠) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٥١ .

(٣١) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٥٨ .

(٣٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٥٢ .

بن عبد الملك يزيد وآل المهلب ، وكتب الى الحجاج بأن يكف يده عنهم ، فاستجاب الحجاج لأوامر الخليفة ، وكان أبو عيينه بن المهلب عند الحجاج وقد أغرمه مالا فكف عنه ، وأطلق سراح حبيب بن المهلب وكان يعذب بالبصرة(٣٣) . وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان ابن عبد الملك وكانت الصداقة بين الرجلين تزداد قوة مع الوقت وكان سليمان يحسن استقباله ، ويقدم له الهدايا القيمة ويقبلها منه ، ولم يتمكن الوشاة من إفساد هذه العلاقة القوية بينهما (٣٤) وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وتولى سليمان الخلافة سنة ٩٦هـ.

كان من المتوقع أن يحظى آل المهلب وعلى رأسهم يزيد بمكانة مرموقة ونفوذ قوى فى ظل حكم الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ) الذى ماكاد يتولى الخلافة حتى دعا يزيد بن المهلب ، فخلع عليه وأكرمه ، وعزم على أن يوليه العراقين البصرة والكوفة (٣٥) ، وفى نفس الوقت فإن أعداء آل المهلب وخاصة هؤلاء الذين كانوا من أنصار الحجاج (توفى ٩٥هـ) ،وشاركوا فى بعض ما أصاب آل المهلب على يديه ، أصبحو يتوجسون من العهد الجديد ، وتوقعوا أن يتم تصفية الحسابات القديمة ، وأن يتعرضوا للأنتقام ، فيذكر الرواة أن

(٣٣) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٩٤ .

(٣٤) راجع التفاصيل ، الطبرى ، ج ٦ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٣٥) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٨٧ .

الخلافة عندما آلت الى سليمان بن عبد الملك ، خشى قتيبة بن مسلم أن يعيد سليمان يزيد بن المهلب على خراسان ويعزله عنها بما يعنيه هذا من تعرضه وأنصاره لانتقام يزيد ، فكتب قتيبة الى سليمان ثلاثة كتب أرسلها مع رسول له : الكتاب الأول يهنئه فيه بالخلافة ، ويذكر حسن بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له عليه مثل هذا إن لم يعزله عن خراسان . فقتيبة فى كتابه الأول للخليفة يربط بين ولائه له وبين بقائه واليا على خراسان محتميا فيها مما يتوقعه من أخطار.

والكتاب الثانى يذكر فيه الخليفة بفتوحه وجهاده ومكانته وعظم قدره ، « ويذم آل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على على خراسان ليخلعنه » أما الكتاب الثالث فكان فيه خلع للخليفة واعلان التمرد (٣٦).

وبعث قتيبة الكتب مع أحد خاصته ، وأوصاه أن يدفع الكتاب الأول الى الخليفة ، فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا مجلسه فقرأه ثم ألقاه اليه فادفع اليه بالكتاب الثانى ، فإن قرأه ودفعه الى يزيد فادفع اليه الثالث . وإن قرأ الأول ولم يدفعه الى يزيد فاحبس الكتابين عنه ، وقد حدث ما توقعه قتيبة أولا ، فكلما أعطاه مبعوثه كتابا دفعه الخليفة الى يزيد حتى أعطاه الكتاب الثالث فقرأ سليمان : « لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتؤمننى لأخلعنك ولأملأنها عليك خيلا

(٣٦) النويرى . ج ٢١ ، ص ٢٣٩ .

ورجلا» [٣٧].

ولم ينتظر قتيبة بن مسلم رد الخليفة على كتبه ، واستشار أخوته فأشاروا عليه بخلع سليمان بن عبد الملك ، فلما فعل ذلك ودعا القبائل التى فى خراسان الى مساندته فى خلع سليمان لم يستجيبوا له ، فوقف قتيبة فيهم خطيبا فأساء اليهم وسبهم ، فغضبت القبائل واجتمعواعلى خلع قتيبة والتصدى له « وكان أول من تكلم فى ذلك الأزد » [٣٨] وكان طبيعيا أن ينقم الأزد على قتيبة لموقفه من آل المهلب وعدائه لهم [٣٩] وانتهى الأمر بثورة القبائل فى خراسان على قتيبة ،وقتل هو ومعظم أفراد أسرته وبعث برأسة الى سليمان بن عبد الملك [٤٠].

وكان سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة مباشرة قد أسند ولاية العراق الى يزيد بن المهلب ، وأمره أن يبسط العذاب على آل أبى عقيل وهم أهل الحجاج ، فأسند يزيد مهمة الأنتقام منهم ومصادرة أملاكهم الى أخيه عبد الملك [٤١] ، ورغم أن سليمان قد أطلق يد يزيد ابن المهلب فى أهل الحجاج وخواصه ، الا أن يزيد لم يكن يحمل طباع الحجاج ولا أخلاقه ، وكان أقرب الى العفو منه الى الأنتقام

(٣٧) راجع التفاصيل : الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٠٧ - ٥١١ .

(٣٨) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٤٠ .

(٣٩) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٤٠) راجع التفاصيل : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٤١) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٤٣ .

والتشفى ويبدو هذا واضحا فى موقفه من يزيد بن أبى مسلم خليفة الحجاج وأحد خواصه، وكان سليمان قد قبض عليه ، وقال ليزيد بن المهلب « خذه اليك فعذبه بألوان العذاب ، حتى تستخرج منه الأموال . فقال : يا أمير المومنين أنا أعلم به ، لا والله ما عنده مال ، ولا كان ممن يحوى المال . وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فعله به ، فولاه سليمان الصائفة » (٤٢).

وفى سنة ٩٧هـ استعمل سليمان بن عبد الملك ، يزيد بن المهلب على خراسان مضافة الى العراق فولى يزيد أخاه زياداً على عُمان (٤٣) وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولى يزيد العراق فوض اليه الحرب والخراج والصلاة بها ، أى أصبحت ولاية عامة ليزيد ، فنظر يزيد لأحوال العراق وما آلت اليه بعد أن خربها الحجاج ، وضيق على أهلها ، واستنزف أموالهم ، ورأى أنه إن تشدد فى جمع الخراج وعذب الناس لجمعة منهم صار عندهم مثل الحجاج ، لذلك احتال يزيد لدى الخليفة حتى يسند اليه ولاية خراسان وكأن الأمر قد جاء عفوا ودون تدبير أو رغبة من يزيد (٤٤).

ويبدو من رواية لابن الأثير أن يزيد انشغل عن الخراج ، فأسندت مهمة الخراج الى صالح بن عبد الرحمن ، فضيق صالح على يزيد فى

(٤٢) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٤٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٤٤) راجع التفاصيل : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٤٤ وما بعدها .

الأموال حتى ضجر من البقاء فى العراق وكان يزيد مشهورا بالكرم الى حد الإسراف فقد اتخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فمنعها صالح .. واشترى يزيد متاعا وكتب صكا بثمنه الى صالح فلم يقبله ،وادعى بأن الخراج لايقوم بما يريد يزيد (٤٥).

وأعتقد أن الفرصة فى العراق كانت ضيقة أمام طموحات يزيد وآل المهلب ، فمجال الغزو والفتوحات ليست متاحة ليزيد فى العراق ، ولعل هذا هو ما دفع يزيد الى السعى لتولى خراسان تلك الولاية التى خبرها آل المهلب طويلا فى صراعهم مع الأزارقة وفى كفاحهم فى سبيل الجهاد ونشر الإسلام ، فالغزو هو الطريق الذى اعتاده آل المهلب للحصول على الشهرة والمغانم ، فعن طريق الغزو يمكن تحقيق المكانة العالية المرموقة ، والثروات الطائلة التى تخضع الرقاب وتجمع الأنصار.

خرج يزيد بن المهلب الى خراسان سنة ٩٧هـ وكان قد سبقه اليها ابنه مخلد واستخلف الولاة على مدن العراق ، وجعل أخاه مروان على حوائجه وشئونه بالبصرة (٤٦) لما للبصرة من مكانة خاصة لدى آل المهلب .

وسعى يزيد بن المهلب بعد توليه خراسان فى تحقيق ما كان يصبوا اليه من أهداف ، فبعد أن قبض على زمام الأمور فى ولايته ، قضى على الثورات فى جرجان وطبرستان ، وحارب الترك والديلم ، واستعان بآل

---

(٤٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٤٦) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٤٦ .

المهلب فى الأدارة والقيادة ، فولى ابنه مخلدا سمر قند ، وولى مدرك بن المهلب بلخ ومحمد بن المهلب مرو وعظم أمر يزيد بخراسان [٤٧].

تمكن يزيد بن المهلب خلال فترة ولايته على خراسان لسليمان ابن عبد الملك مَن القيام بسلسلة من الفتوحات والغزوات الناجحة ، وكتب الى سليمان بأمر هذه الفتوحات وأن الله قد فتح لأمير المؤمنين جرجان وطبرستان ومناطق قد استعصت على المسلمين من قبل [٤٨] «وقد صار فى يدى ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذى حق حقه من الفيء والغنيمة عشرون ألف ألف . فقال له كاتبه : « لا تفعل أيها الأمير أن هذا يبقى عليك مخلدا بكتابك فى دواوينهم ، فإن ولى بعده وال فتحامل عليك لم يرض منك الا بأضعافه ، وإن عدل عليك أخذك بما فى كتابك » [٤٩] ونصحه أن يكتب الى سليمان بن عبد الملك بالفتح وعندما يلتقى به يخبره بشأن الأموال حتى لاتؤخذ عليه ، فأبى يزيد وأمضى الكتاب ، وتصادف أن مات سليمان بن عبد الملك وتولى عمر بن عبد العزيز عندما وصل كتاب يزيد إلى عاصمة الخلافة [٥٠].

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على

(٤٧) راجع تفاصيل غزوات آل المهلب فى هذه الفترة : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤١٢ وما بعدها ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٤٨) راجع : البلاذرى ، ص ٤١٢ - ٤١٥ .

(٤٩) الحميرى ، الروض ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٥٠) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٥٢ .

عمله ويقبل اليه ، فاستخلف يزيد مخلدا ابنه وقدم من خراسان وفى الطريق قبض على يزيد وقيد وأرسل به إلى عمر بن عبد العزيز الذى حبسه بحصن حلب (٥١) وطالبه بالأموال التى كتب بها الى سليمان ، فأنكر يزيد هذه الأموال وبرر ذلك بقوله : « كنت من سليمان بالمكان الذى رأيت ، وانما كتبت الى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى به » (٥٢) ، وطلب يزيد من عبد العزيز أن يطلق سراحه ليجمع له الأموال التي يطالبه بها فرفض عمر ذلك وقال «أتأخذها من الناس مرة أخرى » (٥٣).

ويبدو ان عمر بن عبد الغزيز كان غاضبا على يزيد بن المهلب قبل توليه الخلافة ،ولم يكن راضيا عن العلاقة الوثيقة التى كانت تربطه بسليمان بن عبد الملك ، والتى اعطته الفرصة ليتصرف بكثير من مظاهر الغرور وخاصة بعض الأعمال التى عرفت عن يزيد والتى تتسم بالأسراف فى الهبات والعطايا التى كان يعتبرها عمر من أموال الدولة وليست ملكا ليزيد ، وقد صرح عمر بن عبد العزيز بموقفه من يزيد لأحد خلصائه فقال : « العجب لأمير المؤمنين (سليمان) ، استعمل رجلا على أفضل ثغور المسلمين . فقد بلغنى عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه أنه يعطى الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل . أما

(٥١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، النويرى ، ج ٢١ ، ٣٦٣ .
(٥٢) الكامل ، نفسه .
(٥٣) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(٥٤) راجع : الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

والله ، ما الله أراد بولايته ـ فعرفت أنه يعني يزيد ـ فقلت : يشكر بلاؤهم أيام الأزارقة » [٥٤] . وكان عمر يعلن عن كراهيته لآل المهلب ويقول : « هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم » [٥٥] .

والوقع أن يزيد قد أظهر خلال حكم سليمان بن عبد الملك كثيرا من مظاهر التكبر والاعتداد بالنفس الذى وصل الى أن يتحدى أفراد الأسرة الحاكمة ويواجههم بأعنف العبارات ، ومن الأمثلة على هذا ما رواه ابن قتيبة من أن سليمان بن عبد الملك سأل فى مجلسه يوما يزيد بن المهلب : فيمن العز بالبصرة ؟ فقال : فينا وفى حلفائنا من ربيعة ، وكان عمر بن عبد العزيز حاضرا فاستاء من هذا [٥٦] ، كما يروى أن يزيد بن عبد الملك أبدى ملاحظة علي عطر كان يتعطر به يزيد بن المهلب أغضبته ، فوجه اليه ابن المهلب عبارات عنيفة جاء فيها : الى يقال مثل هذا الكلام وأنا ابن المهلب بن أبي صفرة ، والله لئن وليت الخلافة وأنا حى لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف » [٥٧] .

وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان ، وحاول أن يتشفع لأبيه عند عمر بن عبد العزيز ولكن الخليفة كان مصرا على أخذ يزيد بالمال الذى ذكره فى كتابه لسليمان ، وكأن الخليفة أراد الأنتقام من صلف يزيد وغروره فأمعن فى تعذيبه والتشهير به ، فيروى أنه ألبسه جبة من صوف

---

(٥٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٩ .

(٥٦) عيون الأخبار ، ص ٢٩١ .

(٥٧) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

وحمله على جمل وشهر به بين الناس ، فلما صاح يزيد مناديا على أهل قبيلته من الأزد ، مستنجدا مما يحل به من تحقير ، سارع من همس في أذن الخليفة برد يزيد الى محبسه خوفا من أن ينتزعه قومه غضبا له فرده عمر الى الحبس ، فلم يزل يزيد في حبسه حتى بلغه خبر مرض عمر بن عبد العزيز (٥٨) .

كانت العلاقة بين يزيد بن المهلب وولي العهد يزيد بن عبد الملك سيئة للغاية ، وقد أشرنا الى الطريقة التي تعامل بها ابن المهلب معه من قبل ، فلما بلغ يزيد بن المهلب أن عمر بن عبد العزيز على فراش الموت فكر في الهرب من محبسه خوفا من بطش الخليفة الجديد ، ويروى أن سوء العلاقة يرجع في المقام الأول ، إلى أن يزيد بن المهلب عذب أصهاره آل أبي عقيل عشيرة الحجاج في خلافة سليمان بن عبد الملك (٥٩) فشفع يزيد بن عبد الملك في أخت لزوجته (وهي ابنة أخي الحجاج) لدى يزيد بن المهلب ، فلم يقبل شفاعته ، فهدده ابن عبد الملك إن أصبحت الخلافة له ليقطعن من جسده ، فرد عليه ابن المهلب : لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف (٦٠) .

راسل يزيد بن المهلب أهل بيته ومواليه من محبسه معلنا عن رغبته في الفرار ، فأعدوا له ذلك مثلما حدث من قبل عندما فر من سجن

---

(٥٨) طبري ، ج ٦ ، ص ٥٥٧ – ٢٥٨ .

(٥٩) أبو زكريا الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٣ (القاهرة ١٩٦٧)

(٦٠) الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

الحجاج ، وأغدق يزيد الأموال على عامل حلب وعلى الحراس المكلفين به ، وأعلمهم أن عمر بن عبد العزيز قد ثقل في مرضه وليس يرجى منه ، وان ولي يزيد الخلافة وهو في حبسه سفك دمه ، فساعدوه على الفرار ، وانتهى به المطاف الى البصرة ، فلما بلغ مأمنه كتب الى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكنى لم آمن يزيد بن عبد الملك [٦١] فقال عمر : اللهم أن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره ، وأردد كيده في نحره» [٦٢] .

(٦١) تاريخ الموصل ، ص ٣ .

(٦٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٦٤ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

الفصل السادس

ثورة آل المهلب علي الدولة الأموية

وموقعة العقر (١٠٢هـ)

الفصل السادس

ثورة آل المهلب علي الدولة الأموية

وموقعة العقر (١٠٢هـ)

كان من أهم مشاغل يزيد بن عبد الملك بعد أن تولى الخلافة سنة ١٠١ هـ طلب يزيد بن المهلب والقبض عليه . فكتب إلى والى البصرة فى ذلك الوقت عدى بن أرطأة الفزارى ، يأمره بأخذ الحيطة من يزيد وتحذيره بأن أول ما يفكر فيه يزيد هو أن يلجأ الى البصرة حيث الأعوان والأنصار ، كما أمر الخليفة والى البصرة أن يأخذ من بها من آل المهلب وشيعتهم فيحبسهم ، فوقع فى قبضته : المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب [1] .

أقبل يزيد بن المهلب من الشام وهو لا يعلم أن أخبار هربه قد سبقته الى البصرة ويجهل ما حدث من والى البصرة ضد اخوته وأنصاره، فالتقى به أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع اليه من أهله وقومه ومواليه قبل دخوله البصرة ، وكان واليها قد حشد الأجناد وخندق حولها تحسبا لمجيء يزيد ومن معه ، ورغم ذلك فان البصرة كانت بالنسبة لآل المهلب سكنا ودارا فكانت تعرف ببصرة المهلب ، فلما أقبل يزيد اخترق جيوش عدى ودفاعاته دون مقاومة أو اعتراض ، فيروى ابن

---

(١) طبرى ، ج ٦ ، ص ٥٧٩ .

الأثير « فأقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم الا تنحوا له عن طريقة . فأقبل يزيد حتى نزل داره ، فاختلف اليه الناس» [٢].

ولما اجتمع معظم أهل البصرة حول يزيد بن المهلب ، كاتب عدى بن أرطأة فى الصلح ، وعلى أن يطلق اخوته وعشيرته من الحبس، وتعهد يزيد أن يتركه فى البصرة حتى يحسم الصراع بينه وبين يزيد بن عبد الملك ، ولكن عدى رفض الأستجابة للصلح [٣] وكان ذلك فى أواخر سنة ١٠١ هـ .

استعد يزيد للدخول فى مواجهة ضد والى البصرة ومواجهة الخلافة الأموية فى دمشق فحشد الرجال والأنصار لهذا الغرض ، وكان جوادا سخيا فأقبل عليه الناس ، وكان يغدق عليهم بقطع الذهب والفضة فى الوقت الذى شح عليهم والى البصرة لعدم مقدرته على التصرف فى الأموال التى تحت يده الا باذن من الخليفة [٤] . وانتهى الأمر باستيلاء يزيد على البصرة وأطلق سراح من بالحبس من أخوته وأنصاره وأتى بعدى بن أرطأة فحبسه مكانهم [٥] واستولى على بيت مال البصرة مما جعل فى يده أخطر سلاح يمكن أن يستخدمه ضد

(٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧١ .

(٣) نويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٨٤ .

(٣) طبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨١ .

(٤) طبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨١ .

(٥) تاريخ الموصل ، ص ٨ .

أعدائه ، فأغدق الأموال على رجاله وبعث العمال الى الأهواز وفارس وكرمان [٦] ، وجمع رجاله وشيعته وخطب فيهم وحدد أهدافه من الخروج على يزيد بأنه لايدعي لنفسه الخلافة ، ولكنه يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله [٧] .

كان من سوء طالع يزيد بن المهلب وجود الحسن البصرى فى ذلك الوقت بما له من آراء فى اعتزال الفتن ، وحث أتباعه على عدم الدخول طرفا فى المنازعات ، فتروى المصادر أن الحسن لما سمع خطاب يزيد في رجاله قال : « ان هذا الذى يدعو الى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، هو الذى كان يقتل الناس بالأمس فى هوى بنى أمية » [٨] وسوف تكون هذه الدعوة من عوامل هزيمة يزيد فيما بعد .

استخلف يزيد بن المهلب أخاه مروان على البصرة [٩] وتحرك بحشوده فى اتجاه مدينة واسط وحشدت له الأزد وأحلافها ، وانحدر اليه أهله وخاصته » [١٠] ، وانضمت اليه أعداد كبيرة من أهل الكوفة ومن الثغور ، وأحصى ديوان ابن المهلب مائةوعشرين ألف مقاتل، ورغم ذلك فقد كان يتمنى أن يكو فى صفوفه من بخراسان من قومه

(٦) المسعودى ، التنبيه والأشراف ، ص ٢٩٢ .
(٧) راجع : ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
(٨) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٦ .
(٩) تاريخ الموصل ، ص ٩ .
(١٠) المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، الروض للعطار ، ص ٤١٨ .

الأزد [١١]،وكان يزيد قد بعث أخاه مدرك بن المهلب الى خراسان وعليها عبد الرحمن بن نعيم ليحشد له الحشود ، ولكن ابن نعيم لم يستجب له ، وحرض بنى تميم على التعرض لمدرك ومنعه من الوصول الى خراسان خوفا على نفسه من غضب الخلافة الأموية فى دمشق [١٢]، ولكن الأزد سارعت بإخراج ألفين من فرسانها لاستقبال مدرك ، ومنعوا بنى تميم من التعرض له بسوء ، ويروى ابن الأثير ، أن الأزد كانت لها وجهة نظر واضحة فى هذا الصراع الدائر ضد الخلافة الأموية ، عبّر عنه أحدهم لمدرك بن المهلب الذى قال له : « انك أحب الناس وقد خرج أخوك ، فإن ظهر فإنما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وإن تلك الأخرى فو الله مالك فى أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء، فانصرف عنهم » [١٣] .

حشد الخليفة يزيد بن عبد الملك فى مواجهة يزيد بن المهلب جيشا كثيفا تقدره المصادر من بين سبعين الى ثمانين ألف رجل ، ووضع على قيادته أحد أبطال الفتوحات الأموية أخاه مسلمة بن عبد الملك ومعه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك [١٤] وتحرك هذا الجيش إلى العراق وقدم الكوفة فى أوئل سنة ١٠٢هـ ، ويبدو أن الجو كان باردا والطقس غير مناسب للقتال حتى ان مسلمة قال : « ليت

(١١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٩ .
(١٢) تاريخ الموصل ، ص ٨ .
(١٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨٦ .
(١٤) المسعودى ، التنبيه ، ص ٢٩٤ .

هذا المزونى ، يعنى ابن المهلب ، لاكلفنا اتباعه فى هذا البرد »[١٥].

ويبدو أن خبر وصول جيش الخلافة الى الكوفة قد أثار الذعر والاضطراب بين صفوف رجال يزيد بن المهلب الذى ساءه ذلك ، وشعر بأن الخوف بداية الهزيمة ، فاجتمع برجاله ووقف فيهم خطيبا فقال : « ما هذا الأضطراب إن قيل جاء مسلمة والعباس ، فو الله ما مسلمة الا جرادة صفراء .. وما أهل الشام الا طغام قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة ، فأعيرونى أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فما هى إلا روحة أو غدوة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين »[١٦] .

ترك يزيد بن المهلب واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار حتى نزل فى مكان بالقرب من الكوفة يسمى العقر[١٧] ، وكان قد بعث أخاه عبد الملك فى محاولة لضرب الكوفة والإستيلاء عليها ، فاصطدم عبد الملك بجيش يقوده العباس بن الوليد وانتهى الأمر بينهما بهزيمة عبد الملك الذى انسحب بمن معه والتقى بأخيه عند العقر[١٨] وأقبل مسلمة بن عبد الملك ونزل بمواجهة ابن المهلب فى صفر سنة ١٠٢هـ ولم يبدأ القتال بين الجانبين الا بعد ثمانية أيام[١٩] حدثت

---

(١٥) المزون : عمان وهو اسم من أسمائها (المبرد ، ص ٢٤٠) ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٤ .

(١٦) الحميرى ، الروض ، ص ٤١٩ ، المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(١٧) العقر بأرض بابل من ناحية الكوفة بالعراق ، بين واسط وبغداد (الروض ، ص ٤١٨) .

(١٨) المسعودى ، التنبيه ، ص ٩٤ ، تاريخ الموصل ، ص ١٤ .

(١٩) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٨٧ .

خلالها تطورت خطيرة في صفوف يزيد بن المهلب .

أرسل مسلمة بن عبد الملك الرسل الى يزيد بن المهلب يسأله أن يحقن الدماء ويرجع عما هو عليه ، وتعهد له في مقابل ذلك أن يوليه ويولي اخوته ما يرغبون من البلاد ، وأعلن استجابته لدعوة يزيد الى الكتاب والسنة [٢٠] التي أعلنها لأصحابه . ويبدو أن مسلمة كان يعلم حقيقة الأوضاع في جيش يزيد واختلاف الآراء والنحل بين رجاله ، فقد أوجدت دعوته الى قبول الكتاب والسنة انقساما خطيرا في صفوف يزيد يذكرنا بهذا الأنقسام الذي حدث من قبل في موقعة صفين .

وكيفما كان الأمر فان يزيد بن المهلب عندما بدأ إعداد جيشه للمواجهة وأعد خطة الهجوم على جيش الخلافة الأموية ، وجد معارضة من بعض رجاله وعلى رأسهم السميدع الكندي من بني مالك بن ربيعة [٢١] وأيده في ذلك أبو رؤبة صاحب المرجئة وأتباعه . وكان رأيهم أن ينتظروا ولا يبدأوا بقتال حتى يرد القوم برأيهم الذي زعموا أنهم قبلوه منهم [٢٢] . ولكن مسلمة بن عبد الملك كان قد هيأ جيشه للقتال ، فاضطر يزيد الى الخروج لمواجهته رغم المعارضة التي حرمته من تنفيذ خططه في المبادرة بالهجوم ، فجعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب [٢٣] ودارت عند العقر

---

(٢٠) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٥١ .

(٢١) الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٨٣ .

(٢٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٠ .

(٢٣) الروض ، ص ٤١٩ .

معركة عنيفة بين الجانبين أجمعت المصادر على أن أصحاب يزيد قد خذلوه خلالها فانهزموا عنه وولى أكثرهم الأدبار [٢٤] فيروى ابن الأثير أن مسلمة أمر أحد رجاله بحرق الجسر الذى عقده على نهر الفرات ، فلما رأى أصحاب ابن المهلب الدخان انهزموا ، فلما رأى يزيد ذلك تعجب من سبب انهزامهم وفرارهم [٢٥] ولاشك أن الدخان ليس هو السبب فى فرار أصحاب يزيد ، وسوف نعرض لأسباب هزيمة العقر فيما بعد .

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة يزيد ، ولما وصله خبر قتل أخيه حبيب شعر بهوان الحياة ، فاخترق صفوف جيش مسلمة فى فدائية وبسالة وكأنه يبغى الموت بشرف فى ساحة القتال التى طالما صال وجال فيها سنوات طوال ، وقتل يزيد كل من كان يعترض طريقه حتى تكاثر عليه أهل الشام فقتلوه وقتل معه محمد بن المهلب [٢٦] ، ويروى اليعقوبى أن يزيد بن المهلب خاض هذه المعركة وهو يعانى مرضا شديدا فكان « مبطونا شديد العلة » [٢٧] . ولما قتل يزيد بن المهلب،

---

(٢٤) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٩٥ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٢٨٦ .

(٢٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٢ .

(٢٦) تاريخ الموصل ، ص ١٢ - بعد قتل يزيد قال الفرزدق فى رثائه :

ولا حملت أنثى ولا وضعت
بعد الأغر أصيب بالعقر
ذهب الجمال من المجالس كلها
وخلا لفقدك مجلس النصر

(٢٧) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

المفضل مازال يقاتل جيش مسلمة ، فلما وصله خبر قتل أخوته : يزيد وحبيب ومحمد « تفرق الناس عنه »[٢٨]، فانسحب المفضل الى واسط وكان عليها معاوية بن يزيد بن المهلب وكان تحت يده عدد من الأسرى فلما بلغه هزيمة يزيد وقتله وما أصاب أعمامه ضرب أعناق الأسرى انتقاما لقتلاه[٢٩].

تجمع من بقى على قيد الحياة من آل المهلب بالبصرة بمازال فى حوزتهم من أموال ومتاع وأعدوا السفن فى طريقهم الى قندابيل[٣٠]. وكان على إمارتها وداع بن حميد الأزدى الذى ادخره يزيد بن المهلب لمثل هذا اليوم ، فكان قد أوصاه عندما ولاه قندابيل بأن تكون أمان لآل المهلب اذا حل به مكروه[٣١].

---

(٢٨) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٤ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٨٨ .

(٢٩) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، تاريخ الموصل ، ص ١٢ .

(٣٠) قندابيل مدينة بالسند وهى قصبة ولاية الندهة (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٥ .

عوامل هزيمة يزيد بن المهلب في العقر
(صفر سنة ١٠٢هـ)

تضافرت عدة عوامل فى نكبه يزيد وآل المهلب فى يوم العقر وما تبع ذلك اليوم من مذبحة لاحق خلالها الأمويون آل المهلب فى كل مكان وكأنهم كانوا يرمون الى القضاء عليهم ومحو ذكرهم من الوجود ،وأهم هذه العوامل فى رأينا:

١ – الانقسام داخل صفوف جيش يزيد وبين قواده ، وقد أثار هذا الانقسام وعمقه ، ما قام به الحسن البصرى – وهو فقيه له مكانته وأنصاره فى البصرة – من تشكيك الناس فى جدوى القتال وراء يزيد ، وواجه الحسن يزيدا أثناء خطابه فى أصحابه فى مسجد البصرة ، وحرض الناس على عدم الوثوق فى ادعاءات يزيد ، وعدم المشاركة فى الفتنة ، وكان يصيح فيهم : « أيها الناس ، الزموا منازلكم وكفوا أيديكم ،واتقوا الله ربكم ، ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة »(٣٢).

ولاشك أن هذه الدعوة كانت لها تأثير خطير على جيش يزيد بن المهلب ، مما جعل البعض يميل الى رأى الحسن البصرى ، وعندما حاول والى البصرة مروان بن المهلب أن يحشد الناس ليزيد بعد تحركه فى اتجاه العقر ، كان الحسن البصرى له بالمرصاد ولم يستطع مروان أن

(٣٢) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٤٩ – قارن : الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨٧ – ص ٥٨٨ .

يتصدى له لأن أنصاره كانوا على استعداد للوقوف في وجه مروان اذا تعرض له بمكروه [٣٣] .

ومن جهة أخرى فإن عناصر من المرجئة ـ وهم يمثلون إحدى الفرق الإسلامية المحايدة التي ترفض الاشتراك في الفتن،ولا تؤيد فريقا دون آخر ـ كانوا بين صفوف جيش يزيد بن المهلب ولعل ما دفعهم إلى انخراطهم في جيشه ما أغدقه يزيد على جنده من العطايا والهبات، وفي الوقت الذى كان يحتاج فيه يزيد الى حشد قواه لمواجهة أعدائه ، خرج أحد رجاله وهو السميدع واعترضه قائلا: « إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا . قال أبو رؤبة ـ وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه أصحاب له ـ هكذا ينبغي » [٣٤].

٢- الثقة الزائدة في النفس التى تلغى الحذر ، وتصل الى الغرور من جانب يزيد بن المهلب ، فقد كان أبوه من قبل يتحرز من أعدائه ولا يستهين بهم فى كل الأحوال ، وقد تربى يزيد فى هذا الجو وخاض فى حياة أبيه العديد من المعارك ومر بالكثير من التجارب ، وكان المفروض أن يعى الدرس ، ولكنا نلاحظ فى هذه المعركة أن يزيدًا كان ينظر إلى أعدائه بدون اكتراث ، وكأن الأنتصار عليهم مسألة وقت ، مع العلم

(٣٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٩٤ .

(٣٤) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٩٣ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٠ .

بأن الخليفة الأموى قد وجه لقتاله قائدين من أقرب الناس اليه ، أحدهما وهو مسلمة كان أحد أبطال الغزو والجهاد في الجبهة البيزنطية ، وبالرغم من ذلك فقد سخر يزيد من هذه القيادة ، ولام رجاله لتخوفهم من أهل الشام ، وقد يغفر له ما قاله تشجيعا لجنوده، ولكنه قلل من شأن أعدائه ولم يحسن تقدير قوتهم ، فمن بين ما قاله لأصحابه : انه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء ـ يعني مسلمة بن عبد الملك ، وعاقر ناقة ثمود ـ يعني العباس بن الوليد ـ أنه ليس همهما الا التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعًا وليس إلا أنا ، ما برحت العرصه حتى تكون لي أو لهم » [٣٥] وتساءل في تعجب : « قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون جاء أهل الشام ومسلمة ، وما أهل الشام ؟ هم إلا تسعة أسياف سبعة منها إليّ وسيفان عليّ » [٣٦].

ونتيجة لهذا الأعتداد الشديد بالذات لم يستجب لمشورة قواده وأهل بيته ، وكان قد استشارهم عندما توجه الى واسط عن رأيهم في الخطوة التالية فاقترح عليه حبيب بن المهلب وبعض قواده أن يخرج بأصحابه الى فارس فيتحصن بشعابها وجبالها ويستولى على القلاع والحصون فينضم اليه من بها من قومه ومواليه ، فرفض يزيد هذه الفكرة [٣٧] فذكره حبيب بأنه قد سبق ونصحه عندما استولى على

---

(٣٥) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٩٢ .

(٣٦) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٥ .

(٣٧) تاريخ الموصل ، ص ١١ .

البصرة أن يسارع فيرسل خيلا للاستيلاء على الكوفة ، وكان واليها قد عجز عن التصدى ليزيد عندما مر عليه حين قدومه من الشام ، وليس معه إلا سبعون رجلا ، فيسبق إليها أهل الشام ، وكان أهل الكوفة على استعداد لتأييد يزيد ويفضلون أن يلى أمرهم على أن يخضعوا لأهل الشام، فلم يستمع يزيد لنصيحة حبيب (٣٨).

كما أنه حين أوشكت الهزيمة أن تحل بيزيد فى العقر ، نصحه بعض رجاله أن ينصرف الى واسط ويتحصن بها وقال : « فيأتيك مدد أهل البصرة ، ويأتيك أهل عمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقا .. » فقال له :قبح الله رأيك .. الموت أيسر على من ذلك (٣٩).

٣- وأخيرا .. تفرق الناس عن يزيد بن المهلب عندما نشب القتال فى الوقت الذى كان فى أمس الحاجة الى تماسكهم واتحادهم ، والواقع أنهم لم يفرقهم الدخان الذى انطلق من الجسر المحروق كما ظن يزيد ولكن معظم الذين كانوا يحاربون فى صفوف يزيد فى تلك المعركة كان يجمعهم المال ، وتفرقهم الرهبة والخوف ، لاسيما وأنهم يواجهون جيش الخلافة الأموية ، وعلى رأسه مسلمة بن عبد الملك ، وكان هذا يعنى بالنسبة لهم خروجا على السلطة الشرعية بعكس حروبهم التى سبق أن خاضوها تحت قيادة آل المهلب سواء ضد الأزارقة وهم أعداء الدولة وخارجون عليها، أو ضد الأقاليم التى أعادوا إخضاعها

(٣٨) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٧ .

(٣٩) تاريخ الموصل ، ص ١١ .

أو فتحوها ، فهى أعمال فى صالح الدولة الأموية وتحت رايتها . لذلك كان من السهل على البعض أن يجد مبررا للانسحاب والهرب عند الشعور بالخطر . وكان هذا موقف بعض العناصر القريبة من آل المهلب، وخير مثال على هذا موقف أزد خراسان [٤٠] الذى سبق أن أشرنا اليه.

وكيفما كان الأمر، فإن المفضل بن المهلب تولى زعامة الأسرة فى هذا الوقت الحرج ، فيروى الطبرى : أن معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة من واسط ، حمل معه الخزائن وبيت المال ، فأراد أن يتأمّر على آل المهلب ، فاجتمعوا وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا وولوه قيادتهم [٤١] ، فركب المفضل بآل المهلب فى السفن من البصرة ، ورست السفن فى البحرين للراحة والتزود بالمؤن فالتقى بهم واليها من قبل يزيد بن المهلب ويدعى « هرم بن القرار العبدى » فنصحهم بألا يتركوا سفنهم وقال : «إنى أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم إلى بنى مروان » [٤٢].

ورغم ما فى قول هرم من بعض الحقيقة ، فما كان أحد من الأعوان والأنصار يستطيع أن يحمى آل المهلب فى ذلك الوقت من بطش الدولة الأموية بسطوتها وجيوشها ، ولكنه فى نفس الوقت كان

---

(٤٠) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٥ .

(٤١) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٦٠١ .

(٤٢) نفسه ، ص ٦٠٠ .

يرغب في ابعادهم عن التفكير في الاحتماء بالبحرين .

ويروى العوتبي أن السفن التي تحمل آل المهلب توجهت من البحرين الى عمان وكان على ولايتها في ذلك الوقت زياد بن المهلب الذى رحب بأسرته في وطنهم الأصلي وشجعهم على البقاء في عمان بين أهلهم ، ولكنهم أبوا ذلك (٤٣).

والواقع أنه ليس هناك ،في رأينا، مايبرر عدم لجوء آل المهلب في هذه المرحلة الحرجة الى وطنهم عمان حيث الأمان والأستقرار بالنسبة لهم ، إلا احتمال أنهم كانوا يأملون في التحصن بقندابيل ، وأن ينضم اليهم أهلهم ومواليهم في فارس مما قد يعطيهم الفرصة في الحماية من بطش الدولة الأموية ومواصلة الكفاح ضدها للثأر مما أصابهم .

وعلى أى حال فان آل المهلب مضوا في سفنهم حتى اذا كانوا بحذاء جبال كرمان خرجوا إلى الساحل وحملوا ما معهم على الدواب ، وفي كرمان اجتمع إلى المفضل فلول من أنصاره ، وكانت عيون مسلمة بن عبد الملك تراقب تحركات آل المهلب للقضاء عليهم قبل أن يتمكنوا من حشد حشودهم واصطناع الأعوان ، فبعث مسلمة في أثرهم « مدرك ابن ضب الكلبي » الذى لحق بهم ، والتقى الجانبان في معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من أصحاب المفضل ، كما رجع بعضهم وطلبوا الأمان من مسلمة فأمنهم (٤٤) ، وتمكن

(٤٣) الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

(٤٤) راجع التفاصيل ، الطبرى ، ج ٦ ، ص ٦٠١ - ٦٠٢ .

المفضل من الخروج من المعركة بمن معه من آل المهلب ومن بقي على ولائه لهم قاصدا قندابيل على رجاء الأحتماء بها حسب الأتفاق الذى كان بين يزيد بن المهلب وبين واليها وداع بن حميد ، وفى قندابيل كان ينتظر آل المهلب مفاجاة أخرى ، فيبدو أن وداع قد أعاد تقدير الموقف ، وأدرك أن دخول آل المهلب قندابيل فيه نهايته ، لاسيما أن يزيد بن عبد الملك قد بعث جيشا آخر بقيادة هلال بن أحوز التميمى فى طلب آل المهلب وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم الا ضرب عنقه (٤٥) .

لحق هلال بن أحوز آل المهلب قبل دخولهم قندابيل ، ورفع راية الأمان للناس فكان أول من استجاب للأمان وداع صاحب قندابيل ، وتفرق الناس عن آل المهلب الذين تقدموا بسيوفهم فقاتلوا بفدائية واستبسال حتى قتل معظمهم وهم : المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب ، والنهال بن أبى عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، ولم يفلت منهم الا أبا عيينة ابن المهلب وعثمان بن المفضل اللذين فرا إلى بلاد الترك (٤٦) .

وبعث هلال بن أحوز برؤوس القتلى والنساء الأسرى من آل المهلب الى مسلمة بن عبد الملك وهو بالحيرة ، فلما أراد مسلمة بيع الأسرى عرض الجراح بن عبد الله الحكمى مائة ألف درهم ثمنا لهم ،

---

(٤٥) المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٤٦) البلاذرى ، ص ٥٤٠ ، النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٩٠ .

فلم يأخذ منه مسلمة شيئا وأطلق سراحهم [٤٧] أما الأسرى الرجال فأمر يزيد بن عبد الملك بضرب أعناق من بلغ الحلم منهم ، والغريب فى الأمر أن غلاما من آل المهلب لم يقتل لصغر سنه ، ولكنه صاح بهم أن يقتلوه . وقال : « أنا أعلم بنفسى فقد احتلمت ووطئت النساء فأمر به فقتل » [٤٨] ، وقام يزيد بن عبد الملك بمصادرة أملاك آل المهلب فى كل مكان وأقطعها لأنصاره [٤٩] .

---

(٤٧) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٦ .

(٤٨) النويرى ، ج ٢١ ، ص ٣٩١ .

(٤٩) راجع : البلاذرى ، ص ٤٥١ - ٤٥٤ .

الخاتمـــة

ظل آل المهلب على عدائهم للدولة الأموية بعد النكبات التى حلت بهم ، ولكن لم يكن لهم دور مؤثر فى الأحداث لسنوات طويلة بعد نكبتهم على يد يزيد بن عبد الملك ، وان كانت المصادر التى بين أيدينا لم تعطنا المعلومات اللازمة عن آ المهلب فى الفترة التالية لنكبتهم الا أن ما ذكر بعد ذلك فى أحداث سنة ١٢٩هـ يدل على أن آل المهلب قد بدأوا يستعيدون نفوذهم ويجمعون حولهم الأنصار وخاصة فى مدينتهم البصرة وأقليم الأهواز الذى عاصر انتصاراتهم على الأزلرقة .ففى أثناء الصراع بين أبى مسلم الخراسانى والقائد الأموى نصر بن سيار على خراسان سنة ١٢٩هـ ظهر على مسرح الأحداث أحد أفراد آل المهلب وهو « سليمان بن حبيب بن المهلب » فيروى اليعقوبى :

« وثب سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز سنة ١٢٩هـ ، فوجه اليه القائد الأموى يزيد بن عمر بن هبيرة ، نباتة بن حنظلة الكلابى ،فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انهزم سليمان فلحق بفارس »[1] مما يوحى بأنه انضم الى جيوش أبى مسلم الخراسانى الذى كان يحرب الدولة الأموية فى ذلك الوقت .

(١) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

ويبدو أن أمراء آل المهلب ظلوا يساندون الدعوة العباسية حتى تمقت أهدافها بالقضاء على الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ ، فعندما أعلن أبو سلمة الخلال صاحب الدعوة العباسية فى الكوفة الدعوة للعباسيين، قام سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب باعلان الثورة فى البصرة ولبس السواد شعار الدولة العباسية وحارب والى الأمويين واستولى على المدينة [٢] وقد كافأ العباسيون سفيان بن معاوية بأن أسندوا اليه ولاية البصرة ، وردوا اليه أملاك آل المهلب التى صادرتها الدولة الأموية [٣] .

(٢) اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٨ ، البلاذرى ، ص ٤٥١ .

تعريف المدن والمواقع المهمة

اقليم الجبال : يطلق على البلادالجبلية الواسعة الممتدة من سهول العراق والجزيرة في الغرب ، الى مفازة فارس في الشرق ، ثم سمي هذا الأقليم بعراق العجم . (البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٤٠، ٢٤٤ ، ٣٧٧ _ ٣٧٩).

بركـــــاوان : أو أبركاوان ، جزيرة عظيمة في بحر فارس ، بين عمان والبحرين فتحها الحكم بن أبي العاص (البلاذرى ، فتوح ، ص ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ح١ ، ص ٣٩٩) .

تـــــــوج : وهى توز بالزاى ، مدينة بفارس قريبة من كارزون ، وقد فتحت في أيام عمر بن الخطاب ، ونزلها المسلمون من عبد القيس . (فتوح البلدان ، ص ٤٧٧ ، معجم البلدان ، ح٢ ، ص ٥٦ _ ٥٨) .

جوزجــــان : أو جوزجانان ، هما واحد ، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وهى بين مرو الروذ وبلخ ، ومن مدنها الأنبار وكلار وفارياب . (فتوح ، ص ٥٠٣،٥٠٤ ،معم البلدان ، ح٢ ، ص ١٨٢).

جيــرفت : مدينة كبيرة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها ،

كثيرة الخيرات وافرة الثمرات ، وفتحت جيرفت في خلافة عمر بن الخطااب . (فتوح ، ص ٤٨٢ ، معجم البلدان ، ح٢ ، ص ١٩٨ ، القزويني ، آثار البلاد، ص ١٨١ ـ ١٨٢).

خوزستان : وهو اسم لجميع بلاد الخوز ، من نواحي الأهواز ، بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللوز المجاورة لأصبهان. (معجم البلدان ، ح٢ ، ص ٤٠٤ ، البغدادي ، مراصد الأطلاع ، ح١ ، ص ٤٩٠).

حلوان : حلوان العراق ، آخر حدود السواد ، مما يلي الجبال ، مدينة كبيرة (فتوح ، ص ٣٢٤ ، ٤٥٨).

رامهرمز : معنى رام بالفارسية المراد والمقصود ، وهرمز أحد الأكاسرة فهذه الكلمة مركبة معناها مراد أو مقصود هرمز ، وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (فتوح ، ص ٤٦٤ ـ ٤٦٧ ، معجم البلدان، ح٣ ، ص ١٧) .

روانـد : بليدة قرب قاشان وأصبها ن ، وأصلها رهاوند ، ومعناها الخير المضاعف ، وهي في ايران الآن (فتوح ، ص ٣٩٨ ، معجم البلدان ، ح٣ ، ص ١٩).

رستقباذ : من أرض دستوا ، ودستوا بلدة بفارس ، وقيل بالأهواز (فتوح، ص ٣٤٥ ، معجم ، ح٣ ، ص ٤٣ ، مراصد،

ح٢ ، ص ٥٢٧).

سابــــور : كورة مشهورة بأرض فارس ، وبهذه الكورة مدن كبيرة ، بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخا ، ومدينتها النوبندجان ((فتوح ، ص ٤٧٧ - ٤٧٩ ، معجم ، ح٣ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، آثار البلاد ، ص ٢٠٠).

سجستــــان : ناحية كبيرة جنوب هراة (فتوح ، ص ٣٦٨ ، ٣٨٧).

سرخــــس : مدينة قديمة من نواحى خراسان ، كبيرة واسعة ، وهى بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق (فتوح ، ص ٥٠١ ، معجم ، ح٣ ، ص ٢٠٨ ، آثار ، ص ٣٩٠).

سلى وسلبرى : سلى جبل بمناذر من أعمال الأهواز ، وسلبرى عند سليماناباذ ، ومجموع اللفظين موضع واحد من نواحى خوزستان قرب جنديسابور وكانت به وقعة للخوارج مع المهلب بن أبى صفرة قتل فيها عبد الله بن الماخور أميرالخوارج ، وفى ذلك يقول بعض الخوارج :

بسلى وسلبرى مصارع فتية

كرام وقتلى لم توسد خدودها

(ياقوت ، معجم البلدان ، ح٣ ، ص ٢٣٢) .

صغــــد : كورة بين بخارى وسمر قند تشمل قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين ، والصغد اسم للوادى والنهر الذى

تشرب هذه النواحي منه ، وقيل هما صغدان : صغد سمر قند ، وصغد بخارى (معجم ، ح٣ ، ص ٤٠٩ ، آثار البلاد ، ص ٥٤٣ ، مراصد ، ح٢ ، ص ٨٤٢).

الطالقـــان : بلدة بين مرو الروذ وبلخ ، وهي أكبر مدينة بطخارستان ، وهي في مستوى لأرض قريبة من جبال الديلم ، ولها نهر كبير وبساتين (معجم ، ح٤ ، ص ٦ ، آثار ، ص ٤٠٢ ،فتوح البلدان ، ص ٥٠٣ ـ ٥٠٦) .

فـــاريـاب : مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي جيحون ، ومن فارياب الى طالقان ثلاث مراحل ، ومن فارياب الى بلخ ست مراحل (فتوح ، ص ٥٠٣ـ ٥٠٤ ، معجم ، ح٤ ، ص ٢٢٩، مراصد ، ح٣ ، ١٠١٤).

قرميـــسين : بقرب كرمانشاهان بين همذان وحلوان ، على جادة الحج (فتوح ، ص ٣٧٠ ، القزويني ، آثار ، ص ٤٣٣) .

كـــابـــل : أرض كابل اسم يشمل ناحية بين الهند وسجستان ، وهي ولاية ذات مروج كبيرة ، ونسبته الى الهند أولى ، وهي عاصمة باكستان الآن . (فتوح ، ص ٤٨٨ ـ ٤٩١ ، معجم ، ح٤ ، ص ٤٢٦ ، آثار ، ص ٢٤٣).

كـــش : مدينة على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل بقرب

سمرقند حصينة ، مساحتها ثلاثة فراسخ فى مثلها ، وقيل قرية من قرى أصبهان. (فتوح ، ص ٥١٤ ـ ٥١٥ ، معجم ح٤ ، ص٤٦٢ آثار ، ص ٥٥٤) .

مروالــــروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام ، بين الغور وغزنة ، واسعة وهى على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك، لأن الروذ بالفارسية النهر ، ومات المهلب ابن أبى صفرة بمرو الروذ هذه . (فتوح ، ص٥١٢ ـ ٥١٤، معجم ، ح٥ ، ص١١٢ ، آثار ، ص ٤٥٥).

نهر تيرى : اسم لنهر وبلد من نواحى الأهواز ، وله ذكر فى أخبار الفتوح والخوارج . (فتوح ، ص ٤٦٤ ، معجم ، ح٢ ص ٦٦ ، ح٥ ، ص ٣١٩ ، مراصد ، ح٣ ، ١٤٠١).

نيسابــور : مينة من مدن خراسان ، ذات فضائل حسنة وعمارة ، بينها وبين مرو الساهجان ثلاثون فرسخا (فتوح ، ص ٥١١، معجم ، ح٥ ، ص ٣٣١ ، آثار البلاد ، ص ٤٧٣).

هـــراه : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، قرب اصطخر ، كثيرة البساتين والخيرات (فتوح ، ص ٤٩٩، معجم ، ح٥ ، ص ٣٩٦ ، آثار ، ص ٢٨١).

ثبت بأهم مصادر البحث

- ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى (ت ٦٣٠ هـ) :
الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٢

- ابن أعثم الكوفى : أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ) :
كتاب الفتوح ، بيروت ١٩٨٦ .

- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) :
١- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ .
٢- أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ .

- البغدادى : عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ) :
مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، بيروت ١٩٥٥ .

- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) :
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٨٥ .

- ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ) :
الاصابة فى تمييز الصحابة ، بيروت ١٣٢٨ هـ .

- ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ):

جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ١٩٨٢ .
ـ الحميرى : عبد المنعم السبتى (ت أواخر القرن التاسع الهجرى) :
الروض المعطار فى خبر الأقطار ، بيروت ١٩٨٣ .
ـ ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :
تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ،بيروت ١٩٨٦ .
ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن على (ت ٦٨١هـ):
وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ .
الذهبى شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمن (ت ٧٤٨ هـ):
١- سير أعلام النبلاء ، بيروت بدون تاريخ .
٢- كتاب المشتبه ، القاهرة ١٩٦٢ .
ـ أبو زكريا: يزيد بن محمد بن أياس (ت ٣٣٤هـ) :
ـ ابن سعد : ابو عبد الله محمد الزهرى (ت ٢٣٠ هـ):
الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت بدون تاريخ .
ـ سيف البطاش : سيف بن محمو بن حامد :
تاريخ المهلب القائد وآل المهلب ، عمان ١٩٨٨ .
ـ الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) :

تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

ـ ابن عبد البر : النمرى القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) :

الأستيعات في معرفة الأصحاب ، بيروت١٣٢٨هـ .

ـ العوتبى الصحارى : سلمة بن مسلم (ت القرن الخامس الهجرى) .

كتاب الأنساب ، تحقيق محمد الصليبى ، عمان ١٩٨٤ .

ـ أبو الفرج الأصفهانى : على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) :

آلأغانى ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

ـ ابن قتيبة الدينورى : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦) :

المعارف ،تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٩ .

ـ قدامة بن جعفر : (ت ٣٢٩ هـ):

الخراج وصنعة الكتابة ، العراق ١٩٨١ .

ـ ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤هـ):

البداية ،والنهاية ، القاهرة ١٩٣٣ .

ـ المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٥هـ) .

الكامل فى اللغة والأدب ، بيروت بدون تاريخ .

ـ محمد بن ابى عثمان الحازمى .

كتاب النسب ، القاهرة ١٩٧٣.

- المسعودى : على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ) :

١- التنبيه والأشراف ، بيروت ١٩٨١ .

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٩٨٦ .

- نور الدين السالمى : أبو عبد الله محمد بن حميد بن سلوم :

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، طبع القاهرة بدون تاريخ .

- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ) :

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- أبو هلال العسكرى (ت فى بداية القرن الخامس الهجرى) :

كتاب الأوائل ، الرياض ١٩٨١ .

- الهمذانى : أبو بكر أحمد بن ابراهيم :

مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ .

- ياقوت الحموى : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) :

معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ .

- اليعقوبى : أحمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ) :

تاريخ اليعقوبى ، بيروت بدون تاريخ .

الفهرست